سلسلة دروس مديح القرآن (٦-٧)

دروس من هدي القرآن الكريم

مديح القرآن

(الدرس السادس)

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ٢ ربيع الثاني ١٤٢٤هـ
الموافق: ٢/٦/٢٠٠٣م
اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نُقلتْ من تسجيلٍ لهـــا في أشـــرطة (كاسيت) وقد أُلقيتْ ممزوجةً بمفرداتٍ وأساليبَ من اللهجة المحلية العامية.
وحرصًا منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

إعداد: يحـــيى قاسم أبو عَوَّاضَة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

يقول الإمام القاسم عليه السلام: (الحمد لله الذي جعل الهدى فيما نزل من كتابه مكمَّلاً، ونزل برحمته للعباد منه بياناً كريماً مفصَّلاً، فيه لمن استغنى به أغنى الغِنى، ولمن اجتنى ثمرات هداه أكرم مجتنى، لا يجتَوي عن جناه أبداً مجتوٍ، ولا يَدوَى مع شفائه أبداً مُدوٍ، نور أعين القلوب المبصرة، وحياة ألباب النفوس المطهرة، إلف فكر كل حكيم، وسكن نفس كل كريم، وقصص الأنباء الصادقة، ونبأ الأمثال المتحققة، ويقين شكوك حيرة أولي الألباب) بديل عن الشكوك والحيرة لـ(أولي الألباب) ما هي الألباب؟ يفسرونها بالعقول! وليست العقول.

كلما وردت كلمة عقل في كتاب للإمام القاسم أو الهادي فهو يكون بالمعنى المصدري، عَقَلَ، يَعقِل، عَقلاً. العقل: أي العملية، عملية التعقل، أي: الضبط، عملية الضبط. وقد صرَّح الإمام الهادي في إحدى رسائله في (المجموعة الفاخرة) بالنسبة للقلب أنه هو الآلية للتعقل والفقه. القلب هو الآلية، وهي صريحة في القرآن مثل: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾(الحج:٤٦) في آية أخرى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾(الأعراف:١٧٩).

يجب أن يكون عند الواحد فكرة أن أيَّ شطحة تكون تداعياتها طويلة، يكون لها آثار كبيرة، مثل الأشياء هذه، أيُّ مفهوم خطأ لا تقدِّر أنها مسألة واحدة تقف عند نفسها، بل يأتي بعدها غلطات تتفرع عنها.

كم تفرع من أخطاء رهيبة بسبب العدول عن أن القلب هو الآلة للتعقل والفقه، أخطاء كبيرة جداً عندما حصل تصور أن هناك مخلوقاً آخر له وجوده ذاتياً وله كيانه، يسمونه العقل، والقلب إنما هو عبارة عن محل والعقل هو في داخل القلب، وحالّ في القلب، أخطاء كبيرة ترتبت على هذه.

(نور أعين القلوب المبصرة) هنا يتحدث عن القلوب، والقرآن الكريم يتحدث عن القلوب ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾(ق:٣٧) ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(الحج:٤٦) ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾(المطففين:١٤) ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾(الحج:٤٦) ﴿قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾(الأعراف:١٧٩) وهكذا. لا يوجد ولا كلمة واحدة في القرآن الكريم عَقل أو عُقول على الإطلاق. هي العملية، الفعل تعقلون، يعقلون. تعقل، أي: تفقه، تُمسك وتعقل ما فقهته. فالذي يعقل هو من؟ هو الإنسان نفسه، هو الذي يعقل، هو الذي يبصر، هو الذي يسمع، الإنسان، النفس؛ ولهذا نسب اليقين إلى النفس ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾(النمل:١٤).

تجد هذا من آثار اللاشعورية عندما تجد الناس يقرؤون القرآن ويدرسون باستمرار، واحترام للقرآن. في النقطة هذه في مسألة: عقل أو ما عقل، تجدهم يقرؤونه! وعندهم اعتقاد أن العقل هو: عرَضٌ محله القلب، أي: أن العقل هو كائن آخر غير القلب، غير الروح، غير النفس، غير الجسد، مخلوق آخر، لكن محله في القلب!

قد أصبحت في الذهن هكذا، ويدرسون ويمرون بحوالي ست عشرة آية تأكيداً للموضوع أنه موضوع قلب، قلب ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾(ق:٣٧) ولا يمكن أن تأتي ست عشرة آية تتحدث عن القلب، والقلب إنما هو فقط وعاء، إنما هو فقط "العَطَل"[1] والعقل جالس فيه.

[هنا وردت مداخلة من أحد الحاضرين: إنهم يقولون إن الآيات عندما تتحدث عن القلب فذلك أسلوب مجازي، فقال السيد حسين رضوان الله عليه:].

لا يكون المجاز هكذا تلقائياً، المجاز يكون له علاقة مناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، لا يكون مجازاً باستمرار باستمرار، وعندما يتحدث فغير ممكن أن يتحدث دائماً عن الوعاء، ولا يتحدث عن الأصل.

ألم يجعلوا هناك أن الإنسان لديه عقل وهو الأصل، والخطاب موجه إليه، والإدراكات كلها منه، وهو كل شيء؟ ولم نرَ له أثراً على الإطلاق، ولا كلمة واحدة يوجه إليه الخطاب بها! مثلاً يقول: (لأولي العقول) أو (لمن كان له عقل) أو... أليس المفروض هكذا: (إن في ذلك لذكرى لمن كان له عقل) وليس لمن كان له قلب؟ لا يصح أن يكون مجازاً هكذا في أكثر من ست عشرة آية مجاز، مجاز. ما هو الشيء الذي يجعل الواحد ما عاد ينتبه لآيات كثيرة؟ هو هذا، قد عرف من خلال كتاب مُعيَّن أن المسألة هكذا، فيدرس وما عاد ينتبه.

فالإنسان هو نفسه هو يعقل، هو يفقه بواسطة القلب، ويُبصر بواسطة العين، ويسمع بواسطة الأذن.

---

(١) العَطَل: من اللهجة العامية، وتعني: الوعاء.

لَمَّا تصوروا بأن كل إنسان معه عقل كأنه جهاز يفرز حقاً وباطلاً وخطأً وصواباً هكذا من نفسه، كل واحد معه جهاز عند اللزوم الجهاز سيفرز! لا، إن الإنسان يفهم بأنه مخلوق قابل لأن يُهدَى، وقابل لأن يُضل، لا يقدّر بأن معه جهازاً يفرز تلقائياً حقاً وباطلاً وخطأً وصواباً.

أليس أكثر أهل الدنيا على باطل وضلال؟ فلماذا أجهزتهم هذه لا تشتغل؟ أم أن معهم أجهزة (تايوان)؟![1] إذا فهم الإنسان بأنه مخلوق على هذا النحو: قابل لأن يُهدى، وقابل لأن يُضل، إذا كان يرى بأنه يمكن أن يفهم أشياء واضحة من الضلال، فهناك أشياء كثيرة وواسعة من الضلال لا يدري بها، كذلك جانب الهدى إذا كان عنده هذا الفهم بأنه قابل أن يُهدى، وقابل أن يُضل، وأن مصدر الهدى هو واحد فقط: الذي يأمرنا أن ندعوه كل يوم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(الفاتحة:٦) ﴿اهْدِنَا﴾ ﴿اهْدِنَا﴾ على هذا سيكون حريصاً، وإذا كان لديك هذا الشعور فهو هو مفتاح الهدى وهو الأساس.

إذا كان لديك شعور بأن الهدى هو من الله، والهدى يأتي عن الله، ومن طريق الله، وعلى صراط الله، وأنه لا يوجد أيُّ شيء آخر ممكن أن يوفر لك هدى فستظل مرتبطاً بالله. إذا كان لديك فهم بأن عندك آلية مُعيَّنة هي تفرز حقاً وباطلاً، وخطأً وصواباً، فستكون مفصولاً عن الله، تظن أنك تشتغل وتغربل وستعرف الأمور تلقائياً. إذاً فهي قضية مهمة في القرآن الكريم: التأكيد على أن يبقى الإنسان دائماً مسيطراً على شعوره حاجتُه المطلقة إلى الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾(فاطر:١٥) فقراء في كل مجال، في كل شيء.

الهدى، الناس بحاجة إلى الهدى ومصدره الله، كما أن الناس بحاجة إلى الرزق ومصدره الله، وهكذا. فيكون الإنسان حريصاً على أن يفهم، يكون حريصاً على أن يعرف في موضوع الهدى أن مصدره الله، وكيف الطريقة التي جعلها الله للهدى وللهداية.

وما غرق الناس إلاّ عندما انفصلوا عن الله، غرقوا في الضلال؛ لأن كل شخص سار هناك وحده "يطنن"[2] وحده؛ لأن عنده أنه هو يستطيع، مثلما يقول البعض: (اطِّلع يا أخي) أليس هو يقول هكذا؟ (اطّلِع قد خلق الله لك عقلاً)؟ أليس هو يقول هكذا؟ (اطّلِع واقرأ، وستعرف أنت الخطأ والصواب، والحق والباطل من نفسك لا تحتاج لأيِّ أحد) هذه العبارات هي مِن أضلِّ الضلال.

عندما ترجع إلى القرآن الكريم تجد الكبار، الشخصيات الكبيرة جداً، الأنبياء أنفسهم لا توجد عندهم الفكرة هذه، بل ذهنه مسيطر عليه، مستغرق في الله ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(طه:١١٤) يأتي الواحد منا ولم يعد النبي شيئاً عنده! لم يعد النبي ولا مثل رأس إصبعه. هنا يقول: لهذا الشخص الكبير (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): **﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(طه:١١٤) أليس هكذا؟ وهؤلاء يقولون: (لا، أنت اقرأ واطّلِع على الأشياء كلها وأنت ستعرف، وأنت ستطلع شخصية مهمة) وأشياء من هذه. لا، هذه كلها خطأ.**

مصدر الهدى هو الله، وقد رسم طريقة لكيف يهتدي الناس بهداه، وكيف يتعاملون معه، ولا بُد أن يكون هو مسيطراً على المشاعر، تكون مشاعرك مرتبطة به، وتفهم الطريقة، وتُعبِّد نفسك له، وتُسلّم نفسك له، وتسير على الطريقة التي جعلها توصلك إلى الهدى، وتعرف كيف أسباب الهدى منه.

ولهذا ترى الناس لم يعودوا "يتقابضون"[3] لبعضهم بعضاً، من هذه الفكرة، كل واحد يقول: (يا أخي قد خلق الله لك عقلاً)! وهكذا، ما عاد أحد يتقابض لأحد، وكل واحد قد أصبح فاهماً أنه قادر على أن يعرف، يستطيع أن يعوم الدنيا هذه كلها، ويعرف الخطأ والصواب، وفي الأخير تراه في ضلال.

لو أن المسألة هكذا: أن الله خلق للإنسان جهازاً يعرف حقاً وباطلاً ويفرز خطأً وصواباً هكذا تلقائياً! لورد سؤال كبير على الله حول هذه الأجهزة التي وزعها على عباده، لماذا أكثر عباده ضالون ومختلفون؟ هل أجهزتهم هذه فيها خلل؟ أو أنه ركب لهم أجهزة متباينة، ماركات متعددة، طلعت آراؤهم متباينة، وطلعت آراؤهم مختلفة؟ لا يوجد، أنت الله خلق لك نفساً، نفسك، روحك، أنت، أليس كل واحد يدري أن معه نفساً؟ هذا هو أنت، أنت قابل لأن تُهدى، وقابل لأن تُضل، قضية ليس فيها شك، إذا لم تعرف كيف تُهدى وأين مصدر الهداية فستَضِل،

---

(١) كانت صناعات تايوان غير أصلية حتى أصبحت مضرباً لكل شيء ضعيف (تقليد).

(٢) يطَنِّن: من اللهجة العامية، وهي من التطانين وتعني: الأفكار والهواجس والظنون.

(٣) ما عاد يتْقَابَضُوا: من اللهجة العامية، وتعني: لم يعودوا يَقْبَلون التفاهم لأنهم يظنون أنهم قد أصبحوا غير محتاجين لأحد.

وقابل لأن تُضل بقناعة، يمكن هذا ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُهْتَدُونَ﴾(الزخرف:٣٧).

وأكثر أهل الدنيا هكذا؛ لأنه ليس معقولاً أساساً أن يكون كل البشر هكذا: يسير على باطل وهو متأكد أنه على باطل، يسير في ضلال وخطأ وهو متأكد أنه في ضلال، ويعيش عمره كله في الشعور هذا! أليس هذا بعيداً؟ هذا بعيد، لا، يكون هناك نوعية من الناس بهذا الشكل، قليل، ويكونون عدداً محدوداً الذين هم من هذه النوعية: يعرف أنه على باطل، يعرف أنه على ضلال، يعرف أنه على خطأ، يعرف أن مصير ما هو عليه سيئ، ثم يصر على ذلك، قليل من خلق الله بهذا الشكل.

الأكثرية الساحقة يُقَدَّم لهم الباطل منمَّقاً، مزخرَفاً، مفلسَفاً، أليس هكذا يعملون؟ وأول عملية عملها إبليس، أول عملية في الإضلال هي هذه ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾(طه:١٢٠) ألم يقل هكذا لآدم؟ ألم يقدِّمه بشكل مغرٍ؟ ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾(الأعراف:٢٢) على الطريقة هذه: طريقة الضلال تكون على هذا النحو، فيضلل عباد الله بشكل واسع، بطريقة يفلسف لهم الضلال فيقدَّم حرية، يقدَّم أشياء من هذه العناوين التي يعملونها، فيقتنع بأنه سابر.[1]

فلا بُد أن يكون كل إنسان فاهماً مهما كان، كَبُر أو صَغُر، مهما كان ذكاؤه، مهما كانت عبقريته، لا يمكن أن تتصور أنك أنت شخصياً شخصياً يمكن أن تصلِّح نفسك، وتعرف حقاً وباطلاً وخطأ وصواباً، وهدىً وضلالاً من جهة نفسك أنت، بل لا بُد أن يكون عندك ارتباط بالله، هو الذي يهدي، فعندما تسير على هدى الله فستعرف أنك على هُداه، وتعرف الضلال كيف هو، ومن أين يأتي الضلال، فتتوسع معارفك بشكل كبير في هذا المجال، عندما يسير الإنسان على هدي الله، ويظل دائماً مرتبطاً بالله، مرتبطاً بالله.

إذا كان الواحد تعجبه نفسه، وعنده أنه عبقري فيرجع إلى أنبياء الله، بالتأكيد أيُّ واحد منا لا يمكن أن يرى نفسه أن عبقريته كعبقرية نبي من الأنبياء، ولا ذكاؤه كذكاء نبي من الأنبياء. ترجع إليهم من القرآن الكريم يقدمهم، يشخِّصهم لك في مشاعرهم أنهم أناس ذائبون في الله، حتى على مستوى العلم لا يكون عنده أنه هو. بل ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(طه:١١٤) هكذا هو يتحدث عن الكثير من أنبيائه، مما يؤكد لك هذه القضية، لا يكون لديهم: أنك عبقري وما عاد تحتاج لأحد! الباري هو الذي يهدي، ويفتح أبواب الهداية، ثم فيما بعد تفكر وتتفهم، وترى الأشياء واسعة جداً، ومعارف واسعة جداً، ومع هذه لا تصل في حياتك إلى شعور بأنه يكفي قد أصبحت "طَبَقَة"[2] ـ مثلما يقولون ـ أبداً.

هذه قضية بالنسبة للعبودية لله، وبالنسبة للمعارف ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(طه:١١٤) دائماً؛ لأنه ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾(يوسف:٧٦) ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾(الإسراء:٨٥) تجلس دائماً متعلماً، دائماً طالب علم من مصدره، من الله، وتَعتبِر نفسك أنك لا تزال قاصراً، لا تزال محتاجاً دائماً دائماً، لا يصل الواحد إلى درجة يقول لنفسه يكفي أنا لم أعد محتاجاً. هذه المشاعر هي التي تضرب الناس، المشاعر السيئة هذه، عنده أنه قد قرأ كذا وقرأ كذا، يكفي! يَعتبِر نفسه يسير ولم يعد محتاجاً لأحد، إنما يوجه عباداته لله فقط ليعمل له ثواباً عليها، أمَّا نفس مشاعره فعنده أنه قد أصبح غير محتاج لأحد.

نلمس هذه من الإمام القاسم بن إبراهيم نفسه عندما يتحدث عن القرآن، مع أنه من عباقرة أهل البيت الكبار، وتجد أنه ينظر إلى القرآن بهذا الشكل: ذهنيته هكذا، ذهنيته متجهة إلى الله.

إذاً فالقرآن (**إلفُ فكر كل حكيم**) تألفه نفسك، يألفه فكرك، مرتبط به، إلفَيْن، أي: مرتبطين ببعضهم بعضاً، هو مرتبط به، ويألفه (**وسكن نفس كل كريم**) تسكن إليه نفسك، تطمئن إليه. (**وقصص الأنباء الصادقة، ونبأ الأمثال المتحققة**) أمثال واقعية، لا يأتي بقصص خيالية، مثل ما يأتي الآن. هي فكرة في التثقيف للمجتمع عن طريق القصص، والقصص يكون معظمها قصصاً خيالية، لو تتابع الكُتَّاب، وكُتَّاب القصص يفترض قصة خيالية على أساس يعالج مشكلة اجتماعية وأشياء من هذه. القرآن عنده أمثال وقصص واقعية.

(**ويقين شكوك حيرة أولى الألباب**) لا تبقى شكوك، ولا تبقى حيرة نهائياً، وهذا من أهم الفوائد. إذا الواحد

---

(١) سابر: من اللهجة العامية، وتعني: في طريق الصواب.

(٢) يقولون: عالِمٌ طَبَقَة: من اللهجة العامية، وتعني: عالِمٌ متمكّن.

يقرأ منهجاً مُعيَّناً، وهو دائماً مليئ بشكوك، ومليئ بإشكالات لا تُحلّ، لا تُحلّ نهائياً، اجلس ولو مائتي سنة لن تُحل، جيلاً بعد جيل لم تُحل إنما كل واحد يمشي عليها ويا الله.[١]

هذا خطأ، القرآن الكريم في منهجه، في هُداه، هو بالشكل الذي يعطيك يقيناً، يقينيات، تطمئن إليها النفس، لا تبقى حيرة ولا تبقى شكوك، وهذا له أثر كبير في الثقة بالطريقة، في الثقة بالنفس، أي: يعطي لك ثقلاً، ويعطيك ثقة بنفسك. الإنسان إذا كان عنده منهج مهزوز، مليئ بالإشكالات فإنه يكون ضعيفاً، أليس ضعيفاً في واقعه؟ يدخل في حوار مُعيَّن، يدخل في مناظرة مُعيَّنة تمر به ضعيفاً، حتى في نظرته للحياة، يبقى مهزوزاً.

والقرآن الكريم هو يعطي طمأنينة، يجعلك واثقاً واثقاً من الطريقة التي أنت عليها، واثقاً ليس فقط مثلما تقول: يفرض لها وثوقاً، بل وثوق حقيقي، تثق بهذه الطريقة، فتكون مطمئناً، لا تخاف أن هناك شيئاً ممكن أن يغلب ما لديك أبداً.

(وخير ما صحب من الأصحاب) خير صاحب (سر أسرار الحكمة، ومفتاح كل نجاة ورحمة، قول أرحم الراحمين) وهذا شيء مهم، في أنك دائماً تستشعر وأنت تقرأ القرآن، أو تسمع حديثاً عن القرآن ،أو أحد يتحدث معك عن القرآن، والقرآن ما هو؟ القرآن هو قول الله، هو كلام الله. هذه قضية مهمة، حتى عندما تقرؤه استشعر أنك تقرأ ماذا؟ كلام الله، يمكن أن تطّلع فوق السطح ترى مظاهر خلق الله، فتعرف أن الله الذي خلق السموات والأرض، وخلق هذه الأشياء كلها، هذا كلامه. ثم ترى أنه شيء كبير جداً، ونعمة كبيرة جداً أن تكون أنت تقرأ كلام الله، وتسمع كلام الله، ويكون لهداه أثر في نفسك. لا تقرأ المصحف مثلما تقرأ أيَّ كتاب آخر، وكأنه كتاب ليس له علاقة بصاحبه، تأمل ممن هو هذا القرآن الكريم، هو كلام الله، هو من الله، نزله الله، هو وحي الله، الله الذي خلقنا وخلق السموات والأرض وما فيهما.

(قول أرحم الراحمين، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فأي مُنزّل سبحانه ونازل وتنزيل) المنزِل: الله، والنازل: جبريل، والتنزيل: القرآن الكريم. (لقد جل سبحانه وتنزيله عن كل تمثيل) فقد جل سبحانه، وتنزيله عندما يقول: نزل به، نزلناه. (عن كل تمثيل، وطهر وتقدس ـ إذ وَلِيَه بنفسه، ونزل به روح قدسه ـ عن قذف الشياطين وأكاذيبها، وافتراء مردة الآدميين وألاعيبها) وهذه هي نفسها قضية ركّز عليها القرآن بشكل كبير، خلق طمأنينة فيما يتعلق بعملية تنزيله. يطمئن البشر بأنه لم يحصل تدخل من أيِّ أطراف شيطانية على الإطلاق ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾(الشعراء:٢١٠،٢١١) نفس الشياطين غير متناولين له، لا يمكن هذا، شيطان يقدِّم توجيهات من هذه لا يمكن ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾(الشعراء:٢١٠ـ٢١٢).

القرآن الكريم نفسه هو يشهد بأنه لا يمكن؛ لأنه لا يوجد شياطين يعملون كذا لأعثِروا ملائكة مقدسين لو كانوا هكذا: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدعو إلى الخير، وتوجيهات عظيمة، أخلاق عالية، تسمو بالنفوس، تزكية للنفوس، هل هذا عمل شياطين، أو أن عملهم عكس؟! عملهم نهي عن المعروف، أمر بالمنكر، إفساد، تحطيم للنفوس، تدنيس للنفوس.

تتكرر في القرآن الكريم كثيراً هذه: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً﴾(الإنسان:٢٣) أليست هذه طمأنينة في الوسط؟ عمليتين. ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(الشعراء:١٩٢) داخله أيمان، تأكيدات، وشرح للوسيلة، ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾(الشعراء:١٩٢ـ١٩٥) قد يكون بعض الوحي يسمعه، ينزل بآية يقرؤها عليه هكذا، ويسمعه، وقد يكون وحياً مباشراً إلى قلبه وأعماقه.

[هنا وردت مداخلة من أحد الحاضرين حول أن هذه الآية: ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ تدعم موضوع التعقل بالقلب. فقال السيد حسين رضوان الله عليه:]

لا يوجد شيء آخر غير القلب، حتى عند العرب لم يكن معروفاً شيء اسمه عقل عند العرب الجاهليين أنفسهم، تقرأ الشعر يتحدث عن قلب لا يوجد عقل، عقل، إذا حصل مثل هذه العبارة تكون أنت تلمسها بالمعنى المصدري

---

(١) يمشي عليها ويا الله: يَمُرُّ على الإشكالات سريعاً.

(اعقل عني)، (يا كميل احفظ عني ما أقول لك) يأتي كثيراً استخدام العرب عبارات: اعقل عني. كلها آليات، الإنسان هو ماذا؟ هو نفسه؛ ولهذا الخطاب يوجه للإنسان نفسه، وبقية الأشياء هي آليات: حافظة، وأشياء من هذه، حوافظ، أرشيفات، ملفات.[1]

عندما يفكر أحدنا ماذا يعمل؟ أليس هو يقلب ملفات داخل؟ ثم إنه أحياناً إذا كان هناك مفهوم مغلوط يأتي الواحد يحسبه على الدِّين، ثم يأتي العلم يكشف خطأه. هذا يكون خللاً كبيراً، أليس هذا خللاً كبيراً؟ لكن هذا إذا أنت تأخذ معلوماتك، معتقداتك من خلال أشياء من خارج القرآن، ستقع في إحراجات، وتقع في أخطأ كثيرة. الآن هم يغيرون القلب بقلب، ويشتغل بنفس الطريقة وليس هناك مشكلة.

لاحِظ القرآن نفسه، حتى في هذه المسألة، هو يكون بالشكل الذي يوحي بأن القلب عبارة عن آلية، وليس فقط قلبك، قلبك الموجود هو وحده الآلية يمكن حتى قلب آخر من نفس الجنس ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾(ق:٣٧) ﴿قُلُوبٌ﴾ معظمها تأتي بالتنكير، التنكير هذا يدل على الشيوع، لا يدل على (الاختصاص). قال: ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ ﴿قُلُوبٌ﴾ ﴿أَعْيُنٌ﴾ هذه كلها توحي أنه ربما الأعين يمكن تغييرها، وتكون قابلة بأن يركب للإنسان عين شخص آخر وتشتغل إذا تطور العلم إلى هذا.

أمَّا إذا معك عقل وهو في القلب هذا ومرض وأبعدوه، ركّبوا لك قلب شخص آخر وعقله، كيف سيعمل الواحد؟ ستختلط الأمور! قالوا: إنهم يركّبون للشخص قلباً، ويلاحظون أنه لا تتغير مشاعره ولا معلوماته، فلو كان هناك عقل محله القلب كما يقولون فإما أن نقول: إن ذلك القلب قد راح "نكع" خلاص[2] تصبح صفراً، ليس هناك عقل نهائياً، وإذا افترضنا أن العقل هو عرَض ومحله القلب، فهم يقولون: بأن الأعراض غير قابله للانتقال، العرَض لا ينتقل، فبمجرد أن يزول قلب أحد عقله فيه، فإذا أزالوا قلب أحد وعقله فيه لم يعد عنده إدراكات، لم يعد عنده معلومات، قد أصبح صفراً، يركّبون لك قلب آخر وعقل صاحبه فيه، والعقل يعتبرونه هو أيضاً محل الإدراكات والمعرفة هو، يعتبرون العقل هذا نفسه كل الإدراكات فيه، والمعارف كلها فيه، لا تدري ومعلومات ذاك عندك ومعلوماتك عند ذاك!

(فأحكِم عن خطل الوهن والتداحض، وأكرِم عن زلل الاختلاف والتناقض) إذاً من يسيرون على القرآن وهو كطريقة مرسومة، كهدى مرسوم، لا يمكن أن يتطرق إليه ـ على الإطلاق ـ لا ضعف، ولا وهن، ولا باطل ولا شيء، من يتثقفون به، من يسيرون على هديه فعلاً لا يوجد للباطل مدخل بالنسبة لهم، لا يجد الباطل له مكاناً نهائياً. بينما أشياء أخرى هي تظل محط إشكالات، عندما تأتي تقرأ في كتب (علم الكلام) يطلّع عندك مشاكل، تقرأ (أصول الفقه) يطلع عندك تساؤلات، ومشاكل كثيرة لا تحَل، وترى نفسك ضعيفاً.

(فجُعل بآياته مترافداً) يرفد بعضه بعضاً (وبضياء بيناته متشاهداً) وهكذا أيضاً تجد بالنسبة للحياة، أحداث الحياة أليست هي تشهد للقرآن؟ تشهد له. طيّب، أنت عندما تكون ثقافتك ثقافة القرآن، هديك هدي القرآن، يصبح كل شيء في الدنيا يعطيك معلومات، ويطمئنك على ما أنت عليه، ويشهد لِمَا أنت عليه؛ فإذا أصبح القرآن داخلك، أصبح ماذا؟ كل شيء يشهد للحق الذي أنت تحمله، كل شيء. الباطل لم يعد له منفذ، لم يعد هناك إمكانية بأن يُضلك أحد إلاّ بعلمك أنت، وبهوايتك أنت، تمرد، وعناد، وقد تكون بعيدة على إنسان تكون بداياته صحيحة.

أخطر شيء على الإنسان هو عندما يكون غارقاً في ذاتيته، في نفسيته، هذه هي المشكلة الكبيرة، مثلما إبليس، أخذ يتعبد، ومعارف، وأشياء من هذه، وفي مقام هناك مع الملائكة لكنه شخص غارق في ذاتيته! كل سنة، كل سنتين، وكل قرن وهو يلتفت إلى نفسه، وهذه هي التي جعلته في الأخير يسقط.

لكن الإنسان إذا كانت بداياته صحيحة، ونفسه هو يثبّت نفسه بأنه هكذا، فليس هناك مجال لأن يغرق في ذاتيته، يفهم الواحد بأن الباري لا يأتي "يخلطف"[3] لأوليائه أبداً، أذا كنتَ تسير على طريقة صحيحة عشرات السنين بحيث إنه لم يبقَ بينك وبين الجنة (إلاّ شبر أو ذراع) مثلما في ذاك الحديث، وفي الأخير يمكر

---

(١) قال الإمام علي عليه السلام: يا كميل بن زياد: "إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، فاحفظْ عني ما أقول لك".

(٢) (نَكَعَ): زال. (خلاص): انتهى.

(٣) يخَلْطِف: من اللهجة العامية، وتعني: يضع أمامك عوائق تجعلك تتعثر.

لك ، و"يخلطف" لك ليدخلك جهنم، هذا غير صحيح!

يأتي تثبيت إلهي، تثبيت متواصل، لكن إذا كان فيك خلل، إذا كان يوجد عندك بذرة خلل فلا بُد أن تكبُر، وفي الأخير تغرق في الضلال؛ لهذا ربطت الأشياء هذه كلها أن الله يقول للناس هم يسلّموا أنفسهم إليه ولا دخل لهم من نفوسهم، هو سيجعل في دينه رفعة لهم، عظمة لهم، مجداً لهم، سمواً لهم. هي بهذه الطريقة، مثلما حصل في القرآن بالنسبة للنبي نفسه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هذه من الآيات العجيبة في سورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾(النصر:١) وتكلمنا كثيراً حولها، في الوقت الذي هو يحصل لأيِّ إنسان، عمل إنجازات من ذلك النوع، يلتفت إلى نفسه، ويرى نفسه كبيراً! أليست هذه قد تحصل؟ يسحب ذهنيته يقول: لا ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أليس كذلك؟ في لحظة الإنجازات الكبيرة هذه اغرقْ في ماذا؟ في تقديسك لله، انسَ نفسك نهائياً، واعرف بأنك لا تزال قاصراً ومقصراً ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾(النصر:٣) استغفره، ترجو توبته. أليست هذه عبرة كبيرة جداً؟

في نفس الوقت هل الله يأتي ليضرب الإنسان حتى لا يَكْبُر؟ لا، يأتي هو من الجانب الآخر يقول: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾(الشرح:٤) ألم يرفع له ذكره؟ يقرن اسمه باسمه في الأذان، يقرن اسمه باسمه في الشهادة بالوحدانية، في التشهد للصلاة، أليس هذا حاصلاً؟

هو لا يقول: لا نريد أن يكون لك رفعة، بل يقول هو: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾(الزخرف:٤٤) لكن أن تأتي أنت، أنت تريد أن تبني نفسك ـ مثلما نقول نحن ـ يريد الواحد هو هو، هو غارق في ذاتيته، لن يَكْبُر على الإطلاق، بل سيُحبَط، وينحط، مهما رأى نفسه كبيراً، ويغرق في الضلال؛ ولهذا جعل الله القضية أكبر من أن تلتفت إلى ذاتيتك، إلى نفسك.

نفس حمْل المسؤولية جعلها بالشكل الذي تكون أكبر منك، وهذه قضية ملحوظة؛ ولهذا نقول: إنْ ما هناك قضية إلاّ ولها شواهد، لاحِظ إذا حصل لأحد مشكلة أكبر من طاقاته، وأكبر من نفسيته، إذا دخل في شريعة مع أحد، الناس بهذا الشكل قد أصبح الموضوع مسيطراً على ذهنيته، أليس قد ينسى نفسه؟ أحياناً قد يقوم من فوق الأكل قبل أن يشبع، لم يدرِ! أحياناً يصلي الظهر ست ركعات، أو يصلي العشاء ركعتين أو ثلاث ركعات، أحياناً ينسى أيَّ حاجة، قضية ملحوظة هذه؛ لأن هناك قضية سيطرت على ذهنيته جعلته ينسى تقريباً ذاتيته، يكون تفكيره فيها وهو يصلي، وهو يأكل، وهو يسير، وهو جالس، وهو قائم، يكون كل تفكيره فيها، هذه واحدة. إذا لم يكن عند الناس حمْل مسؤولية في الأخير يعيش في حالة فراغ، يرجع كل واحد إلى نفسه يريد نفسه هو، يكبّر نفسه؛ لأنه ليس هناك قضيه تراها كبيرة، تجعلك تغرق فيها.

موضوع الله سبحانه وتعالى قضية كبيرة إذا كان هناك جهل في معرفة الله، قصور في معرفة الله كذلك، لا يوجد شيء يملأ وجدانك، يملأ ذاتيتك، ستكون حول نفسك، لا يتمحور الإنسان حول نفسه إلاّ في حالات الفراغ من الله، ومن حمْل مسؤولية على هذا النحو: مسؤولية كبيرة، فيتمحور حول ذاتيته. إذا تمحور الإنسان حول ذاتيته انحط، وتكون هذه بذرة اختلاف فيما بين الناس، وكل واحد عنده أن الدنيا كلها صراع على مقامات، وعلى مناصب، وعلى أشياء من هذه (لماذا إمَّا أنت كذا؟! لماذا إمَّا فلان؟!) وهكذا، وكل واحد يريد. فيكونون أبعد ما يكونون في التوحد، أبعد ما يكونون في الإخلاص، أبعد ما يكونون عن أن ينشغلوا بأشياء إيجابية.

هذه قضية مهمة، الإنسان يحاول أن تتوسع معرفته بالله، يعمل على أن يتحمل مسؤولية، يكون عنده قضية ومهما كبرت في ذهنيتك فهو أفضل لك، مهما رأيتها كبيرة في ذهنيتك فهو أفضل لك؛ لأنها أول شيء تُعتبَر باباً من أبواب المعرفة الواسعة. ثانياً هي أفضل لك حتى لا ترجع لذاتيتك أنت. تأملوا مثلاً في الذين يتشاجرون، تأملوا فيهم عندما يكونون مثلاً عند الحاكم كيف يمكنك أن تُخرِج من جيبه شيئاً ولا ينتبه، أو يخرُج مِن عند الحاكم ويسير يفتح سيارة أخرى غير سيارته، وأشياء كثيرة من هذه.

(**فجُعل بآياته مترافداً**) أي: القرآن الكريم (**وبضياء بيناته متشاهداً**) يشهد بعضه لبعض (**غير متكاذب الأخبار**) لا يوجد منه شيء يكذب بعضه بعضاً (**ولا متضايق الأنوار**) نور ضيق إنما فقط بصيص، وأشياء من هذه، لا. (**بل ضحيان النور، فيحان الأمور**) نور واسع، أمور واسعة (**سيحان الأنهار بالحياة المنجية**) هذا يعني بحوراً، سيحان الأنهار يعني تتدفق. عندما يقول واحد: فقط، هل سيكفي القرآن؟! إنما نحن فقط أنظارنا تكون: يريد الواحد رصات! هل أنت تدري بأن هذا الكتاب هو أوسع من الحياة بكلها؟ القرآن الكريم أوسع من الحياة بكلها

﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾(الكهف:١٠٩) كيف تقول لي: (فقط)؟! القرآن ليس أمامه (فقط) على الإطلاق، أو تقول: إنه لا يكفي.

يبدو أمامنا أنه ـ حتى يستكمل الموضوع ـ أنه لا بُد من رصات كتب! أقرأ حتى لو قالوا فيها، المهم أريد أن أقرأ، أريد أن أقرأ، أريد أن أحس برصات، يشبع، يشبع! نأتي نقرأ الأول والثاني والثالث والرابع والخامس والسادس، وهكذا. تقول: هذه فيها خلل، لكن عندما نبعدها ماذا بقي؟ أليسوا يقولون هكذا؟!

لأن القرآن في رؤيته بالنسبة للجانب المعرفي، المعرفة مثلما قلنا قبل إنه يجعل الحركة في سبيله مدرسة يحوِّل الحياة بكلها إلى مدرسة كلها، يرى الدنيا عبارة عن فصل دراسي، كلها عبارة عن فصل دراسي، كل أحداثها، كل متغيراتها، كل حركة الناس فيها، كلها تعطي معارف، معارف واسعة جداً.

لم يربط الموضوع بمدونات، أي: عندنا تفهم أنه فقط العلم يأتي عن طريق أن أقرأ كتاباً، إذا لم أقرأ كتاباً وكتاباً وكتاباً، إذاً فلا يمكن أن أحس أني عالم! أليس هكذا؟ لكن لاحظ أنك عندما تعرف أن هذه الرصة من الكتب في الفن الفلاني باطل، هذه هي معرفة إيجابية، عندك رصة من كتب (أصول الفقه) تقول هذا ضلال فتتركه؛ هذه هي معرفة إيجابية تفتح لك معارف كثيرة، تقول: أبداً، ضروري أقراها حتى أطعم العلم، وأتذوقه، وأرى العلم، مقروات مقروات!

القرآن يقدِّم أن الحياة كلها عبارة عن مدرسة، وممكن أن تطّلِع على كل شيء آخر لن تزداد إلاّ هدى ونوراً؛ لأنه عندما تكتشف أن هذا باطل أليست معرفه؟ معرفة مهمة جداً أن تكتشف أن القاعدة الفلانية، أن المفهوم الفلاني خطأ، القاعدة الفلانية باطلة، المسألة الفلانية باطلة، هذا هو العلم، ليس معناه أن الواحد قد أصبح فارغاً! هذا علم أن تعرف أنها باطلة؛ لأنه ليس هناك نقطة تقف عند نفسها، ليس هناك مسألة تقف عندها، بل كلها يكون لها آثار. أن تعرف أن هذا الشيء، القاعدة الفلانية باطلة، أنت هنا تفتح نفسك على معارف صحيحة في موضوع قد ترى آثاراً ـ مثلاً ـ أن هذه باطلة، متمددة في أشياء كثيرة، مفروض أن تفهم أخطاءها كيفما هي، وأنت عندك بديل هو ماذا؟ معرفة صحيحة عن كيف الواقع، كيف الحق، كيف الصحيح في الموضوع هذا، ليس معناه أن الواحد سيبقى فارغاً.

(سبحان الأنهار بالحياة المنجية، واسع الأعطان والأفنية، ساطع النور والبرهان، جامع الفصل والبيان، فأنواره بضيائه زاهرة، وأسراره لأوليائه ظاهرة، فما إن يواري عن أهله الذين أستُودِعُوا علمه من سرائر سريرة، ولا يدع ما وضح من نوره في قلوبهم من مشكلةِ حيرة) لا يدع حيرة، أليست هذه إيجابية كبيرة؟ لا يوجد عندك شكوك، ما عندك حيرة، ما عندك اضطراب، فإذا أحس الإنسان في أيِّ وقت فإنما فقط ما زال يحتاج إلى معرفة، لم يصادف أنك قد حصلت على كل شيء ثم تظهر وكأنك ضعيف في موقف مُعيَّن: (إذاً والله هذا شيء ما عليه مركن) لا، الضعف يرجع إليك أنت، لا تزال بحاجة إلى معرفة.

(ولا يدع ما وضح من نوره في قلوبهم من مشكلةِ حيرة، بعزائم حكماته المنزلة) يريد إحكامه وحكمه (ودلائل آياته المفصّلة.

فسبحان من جاد به طولاً) من جاد بهذا القرآن الكريم، جاد به على عباده طولاً، أي: تفضلاً منه، وتفضل عن غنى، هو نفسه غني، هو أكرمنا بهذا الشيء العظيم، وهو في نفس الوقت هو غني، ليس بحاجة إلى أيِّ شيء من هذا كله، من الذي يدعونا إلى أن نكون سائرين عليه، وملتزمين به، ليس بحاجة إلينا نهائياً، ليست مصالح متبادلة بين الله وبين الإنسان مثلاً.

(وجعل سببه به موصولاً.) فالقرآن الكريم لم ينزل بالشكل الذي قال: (تفضلوا)[1] وهو منفصل عنه، والقرآن الكريم هو بالشكل الذي يشد الناس إليه بطريقة دائمة مستمرة، يهديهم إليه، ليس فقط ينزله قانوناً ويقول: تفضلوا، اتفقوا أنتم وأنفسكم عليه، وحاولوا أن تسيروا عليه، ولم يعد لنا علاقة به! بل من أعظم مهمات القرآن الكريم هو ماذا؟ يهدي الناس إلى الله، ويملأ وجدانهم بمعرفة الله، بالخوف من الله، بالحب لله، بالخشية من الله، بالرجاء، بالأمل، وهكذا.

(لقد أجلَّ سبحانه به المنة على العباد) منة جليلة (ودلهم به ـ تبارك وتعالى ـ على كل رشاد) كل رشاد، لا يمكن

(١) تَفَضَّلُوا: المقصود بها في هذا السياق: خُذُوا.

أن نقول: لن يكفي (فجاد لهم سبحانه بما لا تجود به نفسٌ وإن عَظُمَ جودُها، وكَبُرَ في الجود بالعطايا المحمودة محمودُها، لقد جاد لهم منه بكنوز لا تبلى، وأعطاهم به عطيَّةً لا يجد لها واجدٌ وإن جهد، فبذل لهم به منه كنز الكنوز، ودلهم به على كل نجاة وفوز).

لكن كيف يمكن أن يعرف الواحد أن هذه الأشياء سيكون لها قيمه عنده، تُعتبَر كنوزاً، وتُعتبَر لها دور، ولها قيمة عنده؟ أنت إذا ما رجعت لكل هذه الأشياء من حولك لا تبالي بها، أي: تَعتبِر نفسك صفراً في الحياة، لا يوجد عندك اهتمام، إذا لم يكن عندك اهتمام، لم يكن عندك مسؤولية، فلن تستفيد، الضلال ليس مشكلة، ليس مزعجاً، الحق ليس مطلوباً، ليس جذاباً، يكون الواحد فاضياً، إذا كان الواحد هكذا على ما نقول: "مبهْطَل"[1] ليس عنده اهتمام، فلا يستفيد، لكن لا، تحمَّل المسؤولية؛ ولهذا جاءت المسؤولية في القرآن مؤكدة مفروضة، تحمَّل مسؤولية، يكون لك عمل وأنت ستلمس بأن هذه مشاكل، ومشاكل هنا مزعجة، خطيرة، تكرهها، في نفس الوقت تنشد إلى ما هو حق، إلى ما هو ماذا؟ إلى ما هو يهدي إلى إزاحة هذه المشكلة، إزاحة هذا الضلال، إزاحة هذا الباطل، فيكون للحق قيمة عندك.

أمَّا إذا لم يكن لك دور نهائياً، ليس عندك مسؤولية، ليس عندك اهتمام فلن يكون لأيِّ شيء قيمة عندك نهائياً، الإمام القاسم يسميه كنوزاً لا تبلى. (فجاد لهم سبحانه بما لا تجود به نفسٌ وإن عَظُمَ جودُها) لماذا؟ لأنه إنسان هو نفسه كان من هذا النوع، إنسان متحرك، إنسان يهتم بأمر الأمة، يتحمل مسؤولية، تكون نفسه كلها غارقة في ماذا؟ في تحمل المسؤولية، وهمّ كبير هو هم الأمة هذه بكلها، كان يبكي كثيراً، هو يعرف أن هذه حلول، هذه أشياء مهمة، كنوز، معارف، هدى، رشاد، لماذا الأمة هكذا؟ يفكر كيف يحاول أن يَحمِل الأمة على أن تهتدي بهذا الهدى، وتسير على هذا الهدى، ويسود فيها هذا المنهج العظيم.

(فتح لهم أبواب الجنان، وهداهم به سبيل الرضوان، ونبأهم فيه عن نبأ السموات العُلا، وما مهد تحتهن من الأرضين السفلى) يُعبِّر عن سعته كيف في الدنيا وفي ما يتعلق بالآخرة. فالقرآن يملأ هذه كلها، يتناول هذه كلها، أنبأ عن الجنة والنار، عن الآخرة، وعن السموات والأرض وما بينهن، وما فيهن (وما فتق من الأجواء، بين الأرض والسماء، وعن خلق الملائكة والجن والإنس فقد نبأهم، وعن كل علم كريم مكنون فقد به أتاهم، قصَّ به عليهم أخبار القرون الماضية، وأخبرهم فيه بمن أهلك بذنبه من الأمم العاتية، فكل عجيب من الأشياء، أو قصة كريمة من قصص الأنبياء، فقد أوصل فيه علمها إليكم، وأورد عجيب نبئها به عليكم).

(فعلى كتاب ربكم هداكم الله فاقتصروا) اقتصروا لتدوروا حوله، تهتدوا به، تسترشدوا به (وبه فهو ذو العبرة فاعتبروا، ففيه نوافع العلم، وجوامع الكَلِم، التي يستدل بقليلها على كثير) يُستدل بقليلها على كثير، هو يفتح أبواب معارف، هو يجعل الحياة مدرسة، بينما مناهج أخرى تجعل الحياة ظلاماً، لا ترى فيها إلاّ ظلاماً.

(يستدل بقليلها على كثير من ملتبس قال وقيل) ملتبس الأقوال: قال، الأقوال سواء داخل كتب فلاسفة، متكلمين، فقهاء، محدِّثين، كيفما كانت، أليست أقوالاً؟ قيل وقال، أو اختلافات بين الناس مثلاً، حول غايات الأشياء، حول أصول أشياء حول (قال وقيل) قال وقيل يكون أحياناً داخل الكتب، الفلاسفة أليس لديهم (قال وقيل) حول موضوع الخلق، وحول موضوع كيف هذا العالَم؟ ومن أين بدأ؟ وكيف سينتهي؟ ولماذا؟! أليست هكذا تكون المباحث عندهم؟ والمتكلمون، والمفسرون، والفقهاء، والمحدِّثون، والكل (قال وقيل). القرآن الكريم سيعلمك الصحيح، حتى عندما تمر بقال وقيل، من هذا ستعرف من هو صاحب القيل الصحيح، ومن هو صاحب القيل الخطأ.

(ويُستشفى من علمها بتفسير أدنى ما فيها من دليل.) أي: وكأن القرآن مضغوط جداً، أي: لو أن نصوصه تأتي مساوية لمعانيه لطلعت ربما ملايين المجلدات من الكلام، لو أن نصوصه تساوي معانيه، أليسوا يقولون إن هناك إيجازاً، وهناك إطناباً، وهناك مساواة؟ الإطناب: عندما يكون الكلام أكثر من المعنى، الإيجاز: الكلام أقل من المعنى، أي: ألفاظ قليلة تعطي معاني واسعة، المساواة: المعنى مساوٍ للفظ. لو تفترضه بهذا النحو: مساواة، تطلع ملايين المجلدات.

يقول لك هنا: (ويُستشفى من علمها بتفسير أدنى ما فيها من دليل.) يُعتبَر شفاءً لك، وشفاء من المرض، من

---

(١) مُبَهْطَل: من اللهجة العامية، والبَهْطَلَة تعني: عدم المبالاة.

مرض الإشكاليات، الإشكاليات تكون أحياناً واسعة، إشكاليات واسعة، لو تأتي تدوِّن إشكالياتك لكانت مجلداً. من آية واحدة قد يُستشفى بها فيما يتعلق بهذه الإشكاليات، يُعتبَر ماذا؟ حبة واحدة، مثلما تعمل لك حبة (كبسولة) واحدة تشفيك من مرض خطير، وهكذا.

وترى في الأخير لا يجد الإنسان كرامة للإنسان إلا على أساسه، تكريم؛ لأن الله عندما يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾(الإسراء:٧٠) في الأخير تلحظ كل توجيهاته كل تشريعاته هي كلها تلحظ التكريم للإنسان، بينما ما يأتي من عند الآخرين لا يلحظ التكريم على الإطلاق، بل يؤدي إلى إهانة، إلى حط لمستوى الإنسان هو كمخلوق كرمه الله تحطه.

لاحِظ في موضوع سُنة الاتباع في دين الله كيف قدَّمها؟ ألم يقدِّمها بشكل يختلف عما عليه الآخرون؟ نحاول أن نتفهم بشكل كبير؛ لأن هذه القضية الآخرون أليسوا يقدِّمون مثلاً أشياء مُعيَّنة هي عبارة عن حرية، وأن هذه عبارة عن صنمية، وهذه عبارة عن عبودية، وهذه عبارة عن عمى (فلان يتبع فلاناً) أي: "يُدَهِّج"[1] هكذا عمى؟! لا، اتركه هكذا!

الحرية التي يسمونها حرية، لا يلحظون فيها ما هو الأساس الذي يمكن أن يحقق للإنسان حرية، الله جعل حرية الإنسان في عبوديته لله، إذا انفرد من هذه تحول إلى عبد لغير الله، أنت لا تستطيع أن تتخلص من العبودية، فإما عبودية لله، وإمَّا عبودية للشيطان، ليس هناك مجال من هذا. فأن تكون عبداً لله تكون حراً، هذه حرية، كرامة؛ لأن العبودية لله: هي تكريم، هي حرية، الله سبحانه وتعالى لا يتعامل مع عباده مثلما يتعامل معك الشيطان، أو مثلما يتعامل معك أولياء الشيطان!

أليسوا يحاولون أن يُخضِعوا الناس لهم بطريقة إذلال؟ بطريقة إهانة، بطريقة قهر، أمَّا الله فهو يقول: لا، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾(المنافقون:٨) لاحِظ كيف أشركهم في الموضوع: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ألم يعمل هكذا؟ فليس هناك شيء حتى في مسألة ـ مثلاً ـ أنبيائه، أوليائه، لا يكون النبي نفسه غارقاً في أن يتبعه الناس هو؛ لأنه هو نفسه ليس حول نفسه، بل هو غارق في اتباع الله، فهو يهدي الناس إلى الله.

والمسألة ـ كما قلنا بالأمس ـ فعلاً أنه حتى بالنسبة لله سبحانه وتعالى لا يرضى فقط أن تنتهي المسألة عنده فقط، هو يفيض على عباده هذه قضية مؤكدة، عندما يُعبِّدون أنفسَهم له، ألم يصف نفسَه بأنه الكريم العظيم الحليم الحكيم؟ أليس كذلك؟ يفيض على عباده، يفيض عليهم من كرمه، من رحمته، من حلمه، من حكمته، من علمه، من عزته، من مجده، فيصبحون أعزاء ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾(المنافقون:٨) فهذه هي قضية مهمة جداً، تجد أنه فعلاً ليس هناك تكريم للإنسان على الإطلاق إلاّ وفق منهج الله الذي رسمه لعباده، إذا خرجوا عنه أهانوا نفوسهم، تحولوا إلى عبيد لأعدائهم.

(...)

ثم يقول في الوصية: (فعلى كتاب ربكم هداكم الله فاقتصروا، وبه فهو ذو العبرة فاعتبروا، ففيه نوافع العلم، وجوامع الكَلِم، التي يستدل بقليلها على كثير من ملتبس قال وقيل، ويُستشفى من علمها بتفسير أدنى ما فيها من دليل. فسبيل قصده فاسلكوا) السبيل القاصد الذي رسمه فاسلكوه (وبه ما بقيتم فتمسكوا) دائماً.

لا تَعتبِر القرآن عبارة عن مرحلة، نقرؤه هذه السنة أو سنتين أو ثلاثاً وانتهى الموضوع، ثم نقول: قد قرأنا القرآن، وقد تجاوزته! لا، دائماً، دائماً يجب أن ترتبط بالقرآن دائماً، كم ما كان عمرك؛ لأنه أوسع منك، وأوسع من حياتك، وأوسع من عمرك، لا يمكن أن تقول: سأتفرغ له، أتفرغ له، وأفرِّغ له سنتين أو ثلاثاً وفي الأخير يكفي، لم يعد هناك فائدة، قد تجاوزته.

(فهو ذروة الذرا) قمة القمم (وبصر من لا يرى) إذا كنتَ ممن لا يرى فارجع إلى القرآن الكريم وستبصر (وعروة الله الوثقى، وروح من أرواح الهدى، سماويٌّ أحلّه الله برحمته أرضه) هو سماوي: من السماء، أي: أشبه شيء بكونه روحانياً، أحله الله في أرضه (وأحكم به في العباد فرضه، فلا يُوصَلُ إلى الخيرات أبداً إلاّ به) تجد كم يكرر من الكلمات القاطعة (فلا يُوصَلُ إلى الخيرات أبداً إلاّ به) خيرات في الدنيا وفي الآخرة، أليس الناس دائماً يريدون خيرات في الدنيا؟ يجب أن نلحظ هذه: أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في هذه الدنيا وهو

---

(١) يدَهِّج: من اللهجة العامية، والمقصود بها في هذا السياق: يمشي بطريقة عشوائية دون هدف.

مرتبط من حيث حاجياته في الدنيا، هو يحتاج إلى خيرات الدنيا هذه.

هذه قضية لا يغفلها أبداً، فالخيرات في الدنيا تأتي بالاستقامة على ما هداهم إليه، وفي الالتزام بما أمرهم به، وأرشدهم إليه. هذه القضية أساسية، إذا لم تكن على هذا الأساس وليست خيرات تأتي من جانب الله فهي تنقص، تنقص، وكل سنة هي أكثر نقصاً.

(**فلا يُوصَلُ إلى الخيرات أبداً إلا به، ولا تُكشف الظلمات إلاّ بثواقب شُهبه**) إذا كان الناس كل واحد حريصاً على كشف الظلمات عن واقعه، كشف الظلمات عن حياته فلا تكشف الظلمات إلاّ بثواقب شهب القرآن.

(**مَن صحبه صحب سماوياً لا يجهل، وهادياً إلى كل خير لا يضل، ومؤنساً لقرنائه لا يُمَلّ**) لا تشعر بوحشة (**مؤنساً لقرنائه لا يُمَلّ**) لا تضجره، يصبح قريباً لك، مثلما قال قبل يتحدث عن عبارة تشبه هذه: (**إلف فكر كل حكيم**) ألم يقل إلف فكر كل حكيم؟ (**وسكن نفس كل كريم**) وهكذا؛ لأنه حتى في وقت الشدائد ترجع إلى القرآن الكريم وتقرؤه وتتأمله تجد كيف ينفس عنك، كيف يجعل المشاكل، يجعل هذه الأشياء الكبيرة بسيطة، لا تجزع، لا يحصل عندك جزع، لا يحصل عندك وهن أمامها، لا يحصل عندك انكسار، لا يحصل عندك هزيمة.

(**وسليماً لمن صحبه لا يَغِلّ، ونصيحاً لمن ناصحه لا يغشّ، وأنيساً لمن آنسه لا يوحش، وحبيباً لمن حابَّهُ لا يبغض**) لا تخشى في يوم من الأيام أن يبغضك أبداً، لا تزيد معايشته إلاّ حباً له، وتجده في معايشته وكأنه معني بك، ففي الوقت الذي تراه أنت معنياً بالناس جميعاً، وبالبشر جميعاً، وبالعالم كله، تجده وكأنه معني بك، أنت عندك مشكلة، عندك مصيبة، كارثة مُعيَّنة، تجد فيه أنسك تجد فيه مواساة لك، حتى وكأنه إنما هو لك، وكأنه مخصص صُحبَته لك، في الوقت الذي أنت تراه هو فعلاً للعالمين جميعاً.

(**ومقبلاً على من أقبل عليه لا يُعرِض**) لا يُعرِض، ولا تجده في مرة من المرات انتهى ما عنده، لا يوجد: أنك تقرأ القرآن مثلاً مع مسايرتك له ثم ينتهي عليك، يقول: (أمانة إلى هنا فقط، لم يعد معي شيء، ابحث إذا كان هناك أحد سينفعك) لا يوجد هذا، لا يزال باستمرار، باستمرار مهما كانت المهمات، مهما كانت مهامك في الحياة.

(**يأمر بالبر والتقوى، وينهى عن المنكر والأسواء، لا يكذب أبداً حديثاً، ولا يخذل من أوليائه مستغيثاً**) ليس في حديثه ما يمكن أن يكون كذباً، ولا يمكن أن يأتي ما يكذب بحديث من حديثه نهائياً، لا يمكن أن تجد في داخل القرآن ما يكون مكذباً لحديث منه في موضع آخر، ولا يمكن أن يأتي في الحياة ما يكذب شيئاً من القرآن على الإطلاق، عندما ترى شيئاً اكتشف فأثبت بطلان اعتقاد مُعيَّن، أو رؤية مُعيَّنة، أنت ترى بأنه لم يكن مَنشؤها القرآن أبداً، بل مَنشؤها مِن عند الآخرين، أمّا القرآن فلا يمكن على الإطلاق، بل يظل فوق ما يتوصل إليه العلم نفسه.

لذلك جاء بعبارة التنكير في مسألة قلب، وعين، وأذن، يقول عنها: آلية قابلة أن تُغَيَّر، وصل العلم إلى هذه فيما يتعلق بالقلب! بالنسبة للعين هم يفكرون في هذه، في العين نفسها قالوا: هم يفكرون في إمكانية أن تركّب عيناً محل عين (زراعة عين) فيبصر بها.

ولهذا الإنسان يحذر تماماً، يحذر أن تكون معتقداته مأخوذة من غير القرآن ورؤاه مأخوذة من غير القرآن لأي ظاهرة من الظواهر، وإلاّ فسيأتي العلم، تأتي الأبحاث، تأتي الاكتشافات تكذب واحدة من هذه، ثم تقول: (إذاً واللهِ مشكلة) عندما تنسبها إلى الدِّين. لكن عندما تربط معتقداتك ورؤاك بالقرآن الكريم، فثق بأنه لن يزيد ما لديك إلاّ يقيناً بأنه صحيح كلما تقدم العلم، كلما توسعت البحوث والاكتشافات.

[هنا ورد كلام من أحد الحاضرين حول أنهم كانوا قد قالوا: إن الشمس ثابتة ثم حصل تغيير لهذه النظرية، فقال السيد حسين رضوان الله عليه:]

الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والكواكب، هذه كلها تدور في فلك، كلها تتحرك، والحياة كلها متحركة، والإنسان وهو راقد هو في وضعية متحركة، هو رقد عن موقف أليس كذلك؟ صنع موقفاً وهو راقد. هذه القضية مهمة يفهمها الواحد؛ لأن هناك شعوراً عند الناس أنه يمكن للواحد أن يعتزل وما له دخل من شيء، ويبقى! لا، أنت عندما تكون معتزلاً فأنت تصنع موقفاً.

(**إن وعد وَعَداً أنجزه**) وعود صادقة (**أو تعزَّز به أحدٌ أعزه، لا تَهِنُ لأوليائه معه حجة**) هذه قضية مهمة لا تَهِن: لا تضعف لأوليائه مع القرآن حجة أبداً في أيِّ مقام كانوا، وفي أيِّ حوار كانوا، لكن ولا بُد أن تفهم ـ مثلما قلنا سابقاً ـ إن القرآن هو أيضاً وهو يبين ويرشد، مما يرشد إليه ويبين أنه وضع منهجاً، يرسم منهجاً في كيف

تحاوِر، يرسم لك منهجاً في كيف تناظِر، كيف تدعو، كيف تعلّم، كيف ترشِد، وهو يركّز دائماً على ضرب أسس الباطل، هذه قاعدة: لا تأتي تغرق مع الآخرين في تفاصيل مُعيّنة، عد إلى الأسس في حوارك، ارجع إلى الله، ابدأ من الله، واربط كل قضية بالله، ولاحِظ عندما يتهاوى الباطل، ويضعف صاحبه، لكن عندما تغرق أنت وإياه في تفاصيل من تحت تفاصيل، تجلسون باستمرار ولا تنتهون إلى شيء.

وأن يكون عندك روح أن تهدي، أن ترشد، لا أن تقهر الآخر، لا أن تغلبه، لا أن تبيّن ضعفه أمام الناس، لا تكن هذه عندك على الإطلاق. يكون عندك هدى، أن تهدي، أن ترشد. نبي الله موسى انطلق إلى فرعون وهو حريص على أن يهتدي وهو المجرم الذي قتل من بني إسرائيل آلاف الأطفال! ألم يقل له: ﴿هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾(النازعات:١٨،١٩)؟ هنا هو يدعوه إلى الهدى، يحب أن يهتدي.

ولا يأتي مع القرآن فكرة المساومات والتنازلات، لا تحصل هذه، أسكتُ عن هذه، وأسكتُ عن هذه، وأحاول أن أتأقلم معك في هذه الحاجة من أجل أن... لا توجد هذه، هذا هو أسلوب العاجز، أسلوب الضعيف فقط، وإلاّ فحجج القرآن فوق أن تحتاج إلى أن تتنازل عن مبادئ، تتنازل عن أسس، وتتأقلم مع الآخر فيما هو عليه من أجل ماذا؟ من أجل ـ زعم ـ أن تكسبه. لا، أنت هنا دخلت معه.

القرآن يركّز على قضية هي: أنك تثق باتجاهك أنك أنت تدعو الآخرين إلى هذا الاتجاه: ﴿تَعَالَوْا﴾(آل عمران:٦١) وأيضاً عبارة: ﴿ادْعُ﴾ نفسها تفيد هذا ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾(النحل:١٢٥) ليس أن تذهب معهم على زعم أن الواحد يريد ماذا؟ يتأقلم معهم، ويكونون جميعاً صفاً واحداً! لا، ليست طريقة هذه، هو يعطيك هذه النظرة: أن القضية ليست قضية توليف هكذا، قضية تنازلات، وقضية تسامح، كل واحد يغطي على الآخر. أنت ادع، يكون عندك هذه النظرة، وهي نظرة مهمة تجعلك لا تذوب مع الآخر في باطله فيما هو عليه أبداً.

(**لا تَهِنُ لأوليائه معه حجة، ولا تُبلى له ما بقي أبداً بهجة**) فلا يبقى له قابلية، بهجته، جاذبيته، بهاؤه فيبهت. لا يوجد، بل تزداد. (**ولا يُخلقُه كرٌّ ولا ترداد**) يبليه (**ولا يلمّ به وهنٌ ولا فساد، ولا يعيا به وإن لَكِنَ لسان**) لا يعيا به لسان وإن كان فيه لَكْنَة، سيكون لسانا طلقاً تحججه، أي: لو عندك لكنة في لسانك سيجعل حججك وبيناتك أقوى من حجج وبينات طلق اللسان الذي لا يتعثّر لسانه ولا في حرف واحد.

(**ولا يشبه فرقانَه فرقان**) ليس هناك فرقان آخر يشبه فرقان القرآن. (**ومن قبلُ ما صَحِبَ الروحَ الأمين، والملائكة المقربين، فكان لهم هادياً ومبيّناً، وازدادوا به من الله يقيناً**).

(**فاتخذوه هادياً ودليلاً، واجعلوا سبيله لكم إلى الله سبيلاً، حافظوا عليه ولا ترفضوه، واتخذوه حبيباً ولا تبغضوه، فإنه لا يُحب أبداً له مبغضاً**). إذا كنتَ تنظر إليه نظرة استثقال فأنت تبغضه في الواقع أنت لا تحبه، عندما تعتبره أنه تكليف وأنه شاق، أوامر شاقة لا بُد أن نعملها وإلا جهنم وكلها تراها أحمالاً، كما قدّم الدِّين، قدّم بهذا الشكل؛ لهذا الناس هم في واقعهم الكثير منهم يستثقلون القرآن، يستثقلونه.

طيِّب، أنت عندما تستثقله فأنت لا تحبه، الإنسان لا يستثقل حبيباً له، هل أنت تستثقل حبيباً؟ ما تستثقل إلاّ شخصاً تراه حملاً، ليس مقبولاً لديك؛ لهذا يكرّر هنا، ويؤكد على مسألة أنه نعمة، أنه مِنة، أنه تطَوُّل من الله: جاد به فضلاً على عباده، أكرمهم به.

ويؤكد على أن يكونوا محبين للقرآن، كيف تحب القرآن؟ عندما تعرف بأنك في أمسّ الحاجة إليه، وبأمسّ الحاجة إلى هدايته، بأمسّ الحاجة إلى نوره، بأمسّ الحاجة إلى عزته، وأنه يهدي، وأنه يُقبِل على من أقبل عليه، وأنه يؤنس، وكل هذه جاءت في صفات الحبيب. ألم يقل هنا أنه يُعتبَر أنيساً لمن قرن نفسه به، لمن صاحبه وأنيساً لمن آنسه لا يوحش، وحبيباً لمن حابه لا يبغض؟

(**فإنه لا يُحب أبداً له مبغضاً، ولا يُقبل على من كان عنه مُعرِضاً**) وقد تكون معرضاً عنه وأنت تقراه بفكرة: أن تحصل على عشر حسنات لكل حرف وتمشي بسرعة، وتلك الآيات تتقافز من فوقها وهكذا؛ هذا إعراض.

عندما تجد نفسك أنك تحاول أن تصنع مبررات لئلا تنطلق على أساس آية من آياته، هذا موقف مَن؟ موقف المعرِض، موقف المبغِض، ولو لم يوجد هنا مشاعر كراهية له، يشعر بكراهية، لكن هذه مواقف المعرض، مواقف المبغض، مواقف الكاره، مواقف المستثقِل، مواقف المعرض. لو كان عندك مثلاً نظرة إليه بحب لحاولت أن تتفهم كل شيء فيه، وتحاول أن تنطلق، لَمّا كنتَ تحاول أن تغطيه، لا يراك، ولا تراه، أي: أنك لا تريد أن تراه.

(ولا يُقبل على من كان عنه معرضاً، ولا يُهدَى إليه من عاداه، ومن تعامى عنه أعماه، ولا يبصر ضياءه إلا من تأمَّله، ولا يُعطِي هداه إلا أهله، من ضل عنه أضله، يُقلِّد جَهلَه مَنْ جَهلَه) فالقرآن يمكن أن يُضل ويمكن أن يُجهِّل، لكن نوعية من الناس هذه النوعية: من جَهلَه، من ضل عنه.

(إن أدبرَ عنه أدبر) إذا أدبرت بوجهك عنه أدبر عنك، (أو أقبلَ عليه بصَّر. جعله الله يتلوَّن في ذلك بألوان) ليس معناه أن نصوصه هي تتلون فيكون معناها مُضلاً، معناها باطلاً، أبداً لا يحصل هذا، معناه هو المعنى الحق دائماً (جعله الله يتلوَّن في ذلك بألوان، ويتفنن فيه على أفنان). طيِّب، قد لا نستطيع أن نفهم تفاصيل تُعتبَر أمثلة للحالة هذه ربما إلاَّ مع حركة الناس في الحياة على أساسه، وتقييم لوضعية المجتمع، وتقييم لواقع الناس على أساسه، حتى تعرف كيف مسألة أنه يُضل مَن ضلَّ عنه، ويُجهِّل مَن جَهلَه، أنه يُدبِر عمن أدبر عنه، أنه يتلون في ذلك بألوان، ويتفنن فيه على أفنان.

(فهو الهادي المضل) وهذا من الأشياء الغريبة (وهو المدبِر المقبل، وهو المسمِع المصم، وهو المُهين المُكرِم، وهو المعطي المانع، وهو القريب الشاسع) هو بعيد، إن تبعد عنه يبعد عنك، وإن تقترب منه يقترب منك (وهو السر المكتوم، وهو العلانية المعلوم، فمرّةً يهدي إليه من اصطفاه، ومرّةً يُضل من أبى قبول هُداه، ومرّةً يُقبِل على من أقبل إليه، ومرة يُدبر عمن التوى في الهدى عليه، ومرّةً يُسمِع من استمع منه، ومرّةً يُصِم من أعرض عنه، ومرّةً يُهين الأعداء، ومرّةً يكرم الأولياء، يعطي من قَبِلَ عطاه، ويمنع من أبى قبول هُداه، يَقرُب لمن ارتضاه، ويَشْسع) يبعد (عمن سخط قضاه، يَعلَنُ لأوليائه ويَظهَر، ويكتتم عن أعدائه ويستُر، نور هدىً على نور، وفرقان بين البرِّ والفجور).

كيف يمكن أن تتصور هذا؟ لأنه جاء بأشياء تبدو صفات متضادة. طيِّب، هذه في أساسها هي توجِد دفعاً للإنسان أن يفهم أنه إمَّا أن يهتدي وإلا فسيضل، إمَّا أن يقرب وإلاّ فسيبعد، إمَّا أن يقبل وإلا فسيدبر. وهذه هي قضية؛ لأن الحياة هكذا، واقع الإنسان هكذا. أي: لم يقدِّم هدى القرآن وعلى مزاجك! تقول: "بعدين با نرجع با نشوف كيف وبا نرجع نلتفت إليه بعد سنة أو بعد سنتين"[١] لأنها مسيرة متحركة، الحياة متحركة، والمسيرة مستمرة.

قد يَعتبِر الواحد أن هذه أشياء راكدة، لا تتصور أن الأشياء راكدة، والحياة راكدة، والمسيرة انتهت، وإنها على مزاجك. القرآن في حركة عندما يقول: اركب معنا وإلا فستكون مع الكافرين أشبه شيء بما حصل ـ وهو يُعتبَر مثلاً في هذا الموضوع ـ ما حصل لنبي الله نوح مع ابنه، أمواج وهنا سفينة ﴿ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾(هود:٤٢). هذا الموضوع لا يوجد فيه أخذ ورد كثير، بل مسيرة متحركة، لم يرضَ وقال: سآوي ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾(هود:٤٣) وهو أقرب مثال نفهم منه هذا، أي: القرآن، الهدى هكذا، الهدى هكذا ليس أن أقول: "أتسمَّع ثم أفكر وإن شاء الله عندما يواتيني إذا واتاني ما يهمه"[٢] بهذا الشكل: أنت إمَّا أن تقبل وإلا فمع السلامة[٣]، حركة ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾(هود:٤٣) ليس هناك أخذ ورد "وساعة العون وعندما يواتينا با نرجع".[٤]

عندما تتأخر عنه لا تدري إلاّ وضاعت أشياء من فرص الحياة، من فرص الهدى، من فرص العمل، من فرص الاستبصار، تضيع. إذا فهمنا أن المسألة هي بهذا الشكل: الحياة متحركة (عَجَلة) مثل الشريط، ليس هناك وقفة. أنت عندما تقول: "با نشوف، متى ما واتانا"![٥] فإنه لن ينتظرك، سيتحرك، عندما تتصور مثلاً بأن شيئاً آخر يمكن أن تفكر بأنه قد يهديك، فالهدى سيتجاوزك ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ﴾ لكن بعدما قال ماذا؟ ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾(هود:٤٣) ألم يقل ابن نوح هكذا؟ أي: هناك شيء آخر ممكن أن أصير إليه! قال: ﴿لاَ

---

(١) ما بين الأقواس من اللهجة العامية: (بعدين بانرجع بانشوف كيف): فيما بعد سننظر كيف.

(٢) ما بين الأقواس من اللهجة العامية: (اتسمّع): استمعُ. (عندما يواتيني): عندما تصبح الفرصة مواتية. (ما يهمه): فأنا مستعد.

(٣) مع السلامة – هنا – تعني: سيتحرك بدونك.

(٤) ساعة العون: وتعني: ليس الأمر عاجلاً.

(٥) سننظر في الموضوع عندما تصبح الظروف مواتية لنا.

عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ﴾(هود:٤٣) لم تبقَ القضية على مزاجه ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ﴾. هنا قد يحول بينك وبين القرآن الموج فتكون من المغرقين؛ لأنه ليس هناك وقت، لا يمكن أن تقعد وتقول: (بعدين). أنت إذا قعدتَ تجاوزتك المسيرة، أصبحتَ هناك، أصبحت متأخراً، هو أدبَر وذهب.

من أمثلة هذه أنني إذا لم اهتدِ بالقرآن لأعرف أسس الهداية، ومصادر الهداية، إذا لم يكن عندي قابلية لهذه فسأكون في نفس الوقت قابلاً لأن أضَل من أعلام ضلال، يُقدِّم لي القرآن ضلالاً، هذا ممكن. ألستَ تجد كثيراً من أهل الباطل، كثيراً من أهل العقائد الباطلة، يحاول أن يُقدِّم نصوصاً من القرآن، يحاول أن يُقدِّم أحاديث مكذوبة على النبي؟ أنت تقبله من منطلق ماذا؟ أن الله قد قال في القرآن: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾(الحشر:٧) أليسوا يستخدمون هذه؟

يقول لك: هذه أحاديث عن رسول الله، وهي عندنا صحيحة. يقولون لك هكذا، وأنت عليك أن تقبل؛ لأن الله قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾(الحشر:٧) ألم يطلع لك الآية بالشكل الذي يشدك إلى ضلال فيصبح القرآن ـ إذا لم تعرف من أين تأخذه، وعلى يد من تهتدي به، وممن تقبله ـ فسيقدمه الآخرون لك وسيلة للإضلال، يقول لك: (الله يأمر بالفحشاء، يأمر بالمعاصي، هو يحمل الإنسان على المعصية، هو يقضي بالمعصية، ويقدِّر المنكرات) وأشياء من هذه! ثم أليس هو يُقدِّم لك آيات؟ يُقدِّم آيات.

طيِّب، من أين جاءت المشكلة بالنسبة لك؟ أنك لم تقبل هدي القرآن في ماذا؟ في إلى من تتجه، وممن تَقبَل هدى القرآن، يأتي ليقول لك: الله قال: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾(الرعد:٢٧) ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾(البقرة:٢٥٣) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾(الإنسان:٣٠) ويجعلك تعتقد باطلاً في الله عن طريق ماذا؟ تقديمه للقرآن. هذه واحدة من أمثلة هذه. فإذا أنا لم أقبِل على هداه، وهداه ليس فقط تفصيليات بالنسبة لكل شخص. هو يهدي إلى أسس هي مصدر للاهتداء، يهدي إلى أعلام، مثلما قال الإمام الهادي: (القرآن يدل على العترة، والعترة تدل على القرآن).

لا تتصور بأن النص القرآني هو نفسه يتلون هو، قد تتأمله ويطّلع لك باطلاً! هذا غير واقع، بل أنت عندما يكون عندك مفهوم باطل، وتحاول أن تؤقلمه لك، هو لا يستجيب لك إلاّ أن تُكرِه القضية على أن تكون على هذا النحو، تُكرِهها هي، تقول: أبداً؛ لأن عندي ـ مثلاً ـ اعتقاداً أن الله فيما يتعلق بالمعاصي بالقبائح هو الذي يَحمِل الإنسان عليها، فأقدِّم كلمة (يضل) لتكون دليلاً لي على هذا. عندما تحاول أن تُقحِم في القرآن باطلاً، أو تحاول أن تلصق به باطلاً فهو يرفضه، يرفضه في مقامات أخرى.

طيِّب، أمامنا ربما مثالان من الأمثلة، كيف هو يُقبِل ويُدبِر، ويُسمِع ويُصِم...إلخ. وهذه هي واحدة من الأسس المهمة في القرآن: أن تعرف أن للقرآن ورثة، أن للقرآن أعلاماً يهدون به، وإلاّ قد يُفكر كل واحد منا بأنه ليس إلاّ كبقية الناس في عهده وقبله، كل إنسان ينطلق للقرآن هو، يتفهم، ويريد أن يستنبط، وأن يتأمل...إلخ، أليس كذلك؟ عندما يكون الناس ناسين لهذه المسألة فسيضلون، أي: لا تتصور أنه لا يوجد أحد يحاول أن يرجع للقرآن وهو هكذا يقرؤه. لكن بروحية أنه: أنا، أنا أهتدي بالقرآن، وأعرف القرآن أنا، وأطّلع على القرآن أنا، وأفهم أسراره أنا...إلخ.

لا تتصور بأنك حالة نادرة عندما ترجع أنت إلى هذه الطريقة، بل كثيرون. المفسر أليس يحتاج إلى أن يمارس الطريقة هذه؟ أمامك المفسرون كمثال واضح (الطبري) (ابن كثير) وغيرهما، أليسوا يحتاجون هذه الطريقة؟ يتأمل، يتأمل لكن منسوفة في ذهنيته أن هناك ورثة للكتاب اصطفاهم الله هم يهدون بالقرآن، لا توجد هذه عنده، يطلع لك ضلال من تفسيره، وهو قد مرَّ بكل آية من آياته.

هذه واحدة من الأسس، واحدة من القضايا التي لا بُد أن نفهمها، باعتبار ماذا؟ تثقيف قرآني، وأساس قرآني، إذا لم يكن عندنا هذا المفهوم فلن نهتدي بالقرآن على الإطلاق، لا نهتدي به على الإطلاق، إذا لم يكن عندي هذا المفهوم سأكون قابلاً لمن يطّلع القرآن في غير مورده، في غير موضوعه، فيضلني به.

قد جعلوا مجاميع من الشباب يذهبون ليجاهدوا جهاداً أمريكياً في أفغانستان وليسوا عارفين! وحرَّكوا لهم آيات الجهاد، ألم يحرِّكوا لهم آيات الجهاد؟ عملاء لأمريكا، متواطئون مع أمريكا، بتمويل أمريكي وبتوجيه أمريكي يحركون لك شباباً مسلمين مساكين، يحركونهم ويذهبون بهم إلى أفغانستان باسم الجهاد في سبيل الله، أليس هو

هنا يقرأ عليهم آيات الجهاد؟ ينكشف الموضوع وإذا المسألة كلها إنما هي ترتيبات لإخراج روسيا من أفغانستان؛ لتأتي أمريكا بديلاً عنها! ثم يقفل أولئك الأعلام ـ أعلام الجهاد، وأعلام آيات الجهاد الذين كانوا يتحدثون بها في المساجد ـ يقفلون ملف الجهاد، وانتهى الموضوع. وإذا بهؤلاء المجاهدين ـ الذين يقول الله عن الجهاد في سبيله ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(التوبة:٤١) ـ وإذا بهم يصبحون عند أمريكا التي جاهدوا من أجلها مسيئين، وتقول عنهم (إرهابيين) لتعتبرهم مدانين بما عملوا، ألم يصبحوا مدانين بهذه؟ قالوا: هم ذهبوا إلى أفغانستان! طيِّب، هم ذهبوا إلى أفغانستان، حرَّكهم عملاؤكم ليذهبوا إلى أفغانستان وهم بسطاء، مساكين، على أقل تقدير قدِّروا لهم جهودهم هذه؛ لأنهم تجمَّلوا فيكم[1] وأخرجوا روسيا بدل أن تضحوا بجندي واحد أمريكي! فأصبح عملهم في أفغانستان لم يكن فيه خير لهم نهائياً، لم يكن فيه خير لهم بل أصبحوا مطاردين به، فهنا سيأتي من يحرِّكك بآيات قرآنية في غير وقتها، في غير موضوعها، القضية هذه ليست سهلة.

هذا أساس مهم جداً: الاهتداء بالقرآن، تجد أهل البيت أنفسهم إذا خرجوا عن هذا المفهوم يَضِلون هم ـ إذا خرجوا عن مفهوم أن للقرآن ورثة يرشدون إليه، هم يهدون به ـ يصبحون هم ضالين هم، يغرقون في الضلال.

[هنا سأل أحد الحاضرين عن رفع معاوية المصاحف يوم صِفين وقول الخوارج للإمام علي (عليه السلام): أجب القوم إلى كتاب الله، فأجاب السيد حسين رضوان الله عليه:]

هو مرتبط بقرين القرآن، هو مرتبط. (أجب القوم إلى كتاب الله) ألم يقولوا هكذا؟ كتاب الله معه طريق مِن هنا مِن عند قرينه. لاحِظ كيف كان مصيرهم.

عندما يأتي في القرآن آيات تتحدث عن مسألة أن فئة من الناس يصلون إلى درجة أن يسمعوا القرآن ولكن على قلوبهم أكنة، أليس القرآن هكذا يتحدث عنهم؟ ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾، ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، ﴿عَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ وأشياء من هذه، لا يدري الواحد كيف يتصورها، وهو في نفس الوقت يفهم، لكن لم يعد هناك تفاعُل مع ما يفهمه نهائياً، ليس هناك تفاعُل من جانبه، قلبه قد غطى عليه الرَّين، قلبه قد طُبع عليه، قد خُتم عليه.

قد ربما يكون بعض الأمثلة، أو بعض الأشياء ما يعرفها ـ عملياً محسوسة ـ إلاّ مَن؟ إلاّ هذه النوعية، لا تستطيع أن تقدِّم مثالاً على مسألة كيف الطبع على القلب، والختم على القلب، وعلى العين، وعلى أبصارهم غشاوة، في آذانهم وقر، وأشياء من هذه، لكن ربما قد يتلمس الناس في حركتهم كيف يكون الإنسان ـ فعلاً ـ أنه يسمع الشيء ولكن كأنه لا يسمعه، يبصره ولكن كأنه لا يبصر، يفقه ولكن كأنه لا يفقه.

ولهذا ظاهرة تحدث عنها القرآن الكريم، واعتبرها هي حالة تأتي لأسباب من جانب الإنسان هو؛ لأنه لا يتفاعل مع ما يُقدَّم له من هدي الله من القرآن الكريم. هذه القضية لها إيجابية كبيرة، أن تفهم بأن القضية ليست على مزاجك و"البادي منك"[2] هكذا. الأمور ليست على "متى ما واتانا والبادي مننا" تقبَل، تتفاعل، تتحرك، ما لم يأتي العكس: يختم الله على قلبك، يطبع على قلبك، يجعل على بصرك غشاوة، ويجعل على أذنك وقراً، وأشياء من هذه، ويبعد عنك القرآن، وتصبح هناك وراء بعيداً.

(نور هدىً على نور، وفرقان بين البِرِّ والفجور، أرشدُ زاجرٍ وآمرٍ، وأعدل مقسط ومعدِّر) يبذل ما فيه إعذار، ولا يوجَد فئة من الناس لا يمكن أن تنال منه: تستضيئ بضيائه، وتستنير بنوره، وتهتدي بهداه، وهذا من أعجب الأشياء في القرآن الكريم. الحكيم، العبقري، الفاهم، صاحب العلوم الكثيرة في أيِّ مجال كان لا يمكن أن يرى نفسه قد أصبح فوق القرآن أبداً، بل سيرى القرآن أكبر منه، وأوسع منه، والإنسان العامِّي البسيط تُقدِّم له القرآن فيهتدي به، ويستنير بنوره، ويستضيئ بضيائه، أي: يغطي المساحة كلها، لا يمكن أن تقول: (إن هذا شيء لا يمكن أن تستفيد منه، ولا يمكن... هو فقط لطبقة المثقفين، وهو هناك، لا يهتدي بهداه عوام الناس، وإنما يهتدي بهداه حكماء الناس، وكبار علمائهم، وكبار مثقفيهم).

لا يوجد من كتابات الآخرين على هذا النحو، لا يوجد من صنع المخلوقين ما يكون على هذا النحو، تراه فقط ينسجم مع فئة، مع مستوى مُعيَّن ينزله يقول له: (يا أخي ما هم فاهمين له، ما هم دارين ماذا يعني نهائياً).

---

(١) تَجمَّلُوا فيكم: من اللهجة العامية، وتعني: قَدَّموا إليكم معروفاً.

(٢) البادي منك: من اللهجة العامية، وتعني في هذا السياق: الاستجابة في أيِّ وقتٍ تريد.

(يوقظ بزجره النُّوَماء، ويعظ بأمره الحكماء، ويُحيي بروحه الموتى، ولا يزيد من مات عنه إلا موتاً، يعدل أبداً ولا يجور، وكل أمره قَدَرٌ مقدور) حقائق كلها حتمية عندما يقول: إذا لم تكن كذا فسيكون كذا، إذا لم تعمل كذا فسيحصل كذا، حقائق.

(ظاهره ضياء وبهجَة، وباطنه غور ولجّة) عمق (لا يُملّك حَسَنُ أنواره، ولا يُدرَك باطنُ أغواره) يملكه: احتواه، سيطر عليه. أليس معناها هكذا؟ قد يكون معناه أنه ليس بإمكان طرف مُعيَّن أن يحتويه، وأن يسيطر عليه، ولا يعود هناك شيء، بل يبقى نوره قائماً، ربما قد يكون هكذا. (فمن ظهر لظاهر مَنَاظِره، رأى أعاجيبه في موارده ومصادره) عندما تتحرك على أساس القرآن ترى عجائب القرآن نفسه في مواردك، ومصادرك، أي: في كل حركتك، وهذه من أهم الآليات، إذا كانت تُقدَّم هناك آلية يقول لك: (اقرأ علوم الآلة، اقرأ، اقرأ وستفهم القرآن) من الآليات المهمة أن تعرف أن القرآن متحرك، فتحرك بحركة القرآن وهنا ستفهم من القرآن أشياء كثيرة جداً، هذه هي من الآليات. إذا توقفت، فلو تقرأ كم ما تقرأ أبداً، بل قد "يطلع قَلَب"[1] في الموضوع، وهذا الذي هو ملموس حقيقة، يقضي عدة سنين هناك ويسميه علوم آلة، ودخل إلى القرآن من باب ضلال، تصبح نظراته باطلة في أكثرها.

(ومن بَطَنَ لمستَبطَنِه رأى مكنون محاسنه، من غرائب علمه، وأطايب حِكَمِه) لكن كيف الطريقة لأن يستبطن؟ هي أن يغوص في أعماق لجج القرآن. هو قال هناك في الفقرة السابقة، فالقرآن يفرض أن يكون الناس على حالة مُعيَّنة، ونظرة مُعيَّنة، وحركة مُعيَّنة، ثم هو، هو يُقدِّم، يُفسِّر، مثلما قال هنا في المعايشة للقرآن وللواقع، ونظرة متبادلة، وحركة على أساسه، وتخلٍّ عن عوائق تحول بينك وبين فهمه، وبين الاهتداء به، تجد القرآن هو هو يعلمك، وهذه هي قضية في القرآن الكريم وفي آيات الله، وفي آيات الله ليست المسألة كما يقولون حول هذه الآيات أنك تستنبط، بل إنها في الواقع تُدرَك بالشكل الذي هي هي تحدثك، هي قد تكون بوضعية هي تحدثك، تناجيك، تُقدِّم دلائلها هي تلقائياً إلى وجدانك.

لكن لا بُد من تجلي المسألة، تقول: اجعلها مثلما تقول قاعدة، تعمل قاعدة يكون في ذهنيتي أنا أنظر إلى الشيء وأصدر عليه حكماً، أقول: هذا مُحدَث؛ إذاً لا بُد له من مُحدِث. هنا أنت تؤطر الموضوع وتضيقه، وكل ما رأيت من شيء تكون أنت تريد أن تصدر حكماً عليه، على هذا النحو. لا، القضية هي تكون بهذا الشكل: يكون عندك تفتح ذهنيتك، نفسك، لا يكون عندك عوائق، ولا تكون أنت ترى وفق قواعد مُعيَّنة، بل نظرات وجدانية، هي نفسها تخاطبك، هي نفسها ترشدك، هي نفسها تدلي بشهادتها إليك، بشهادتها على ما وراءها، على ما هي تنبئ عنه إليك. وهذه القضية هي في القرآن الكريم وفي آيات الله كلها، تجد مشكلة (المعتزلي) نفسه، عندما انطلق انطلاقة هو يباشر، ورأى أصناف الأشياء المتعددة كلها، تعني ماذا؟ أن لكل حادث مُحدِثاً فقط، أنها دليل على أنها مُحدَثة، وما أضيق هذه المعلومة! ضيقة جداً.

(ومن بَطَنَ لمستَبطَنِه رأى مكنون محاسنه) وأحياناً لو تحاول أنت في ظرف مُعيَّن تريد أن تستبطن تستبطن فلا يطلع لك شيء، لا يطلع باطن، لكن مع حركة الحياة، مع التردد الكثير على القرآن، والتفهم له، والتفهم للأحداث، واللجوء الدائم إلى الباري، اهتداء بالله، الدعاء له ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(طه:١١٤) والدعاء بأن يهدي، والدعاء بأن... هنا قد تأتي لك، والقرآن يكشفها، قد يكون معظمها فوق المعنى اللغوي للمفردة، أنت ترى نص الآية وتأتي لتفسرها بالمعاني اللغوية فلا تلمس أكثر من هذا، لكن مع الزمن، مع الوقت، تأتي فتفهم من خلالها أشياء كثيرة.

(ومن بَطَنَ لمستَبطَنِه رأى مكنون محاسنه، من غرائب علمه، وأطايب حِكَمِه، لُبابُ كل لباب، وفصل كل خطاب، وحكمه من حكم رب الأرباب، اكتفى به منه في هُداه لأوليائه) اكتفى به، أي: جعله كافياً، وتفهم معنى (كافياً) أن من أسس القرآن هو الشد إلى الله والهدى إليه، لا تفهم على الإطلاق أن القرآن ممكن أن يكون بديلاً عن الله، تتحرك تقول: (قد معنا منهج مرسوم، وعلى أساسه قد، وقد...) وما عاد لك علاقة بالله! من أسسه المهمة أنه يشدك إلى الله، هذه واحدة، والله يتدخل، هو يهدي به، ومن خلاله يهدي هو، لا يزال يهدي هو.

(واصطفى به من خصّه الله سبحانه باصطفائه، فمصابيح الهدى به تُزهِر واهجة، وسُبُل التقوى به إلى الله

---

(١) يطْلَع قَلَب: من اللهجة العامية، وتعني: يكون معكوساً.

تلوح ناهجة، يُحتاج إليه ولا يَحتاج) لاحِظ عبارات صحيحة ليست مثل عبارات الآخرين: القرآن أحوج إلى السُّنة من حاجة السنة إلى القرآن! هذه قاعدة عملوها! أي: الأحاديث تصبح في الأخير حَكَماً على القرآن ومهيمنة عليه. والأحاديث التي هم يشهدون بأن الكثير منها مكذوب، مع أنها تكون على نمط واحد: حدثنا فلان، قال قال فلان، أخبرنا فلان، قال قال رسول الله، أليست هكذا؟ أليست تَرِد على نمط واحد؟ ما هو منها صحيح، وما هو كذب (سراجه أبداً بنوره وهّاج) أي: باستمرار، سراجه متوهج مستمراً.

(يُعلِّم ولا يُعلَّم) أنت لا تدخل إلى القرآن كمعلم للقرآن، عندما تدخل وعندك قواعد مُعيَّنة تريد أن تحكّمها عليه فأنت هنا تدخل بروحية أنك أنت تأتي تؤقلم القرآن وتريد أن تعلّم القرآن كيف يكون هو. (ويُقوِّم ولا يُقوَّم، فهو المهيمن الأمين) مهيمن، جعله الله مهيمناً على كتبه (والفاصل المبين، والكتاب الكريم، والذكر الحكيم، والرضى المقنع) يُوجِد قناعات، يُوجِد طمأنينة، يُوجِد يقيناً، يُوجِد رضى. (والمنادي المسمِع) لا يمكن أن يأتي من الناس من يقول: أما هم فما سمعوا، أو لم يصلهم نداؤه، أو لم...

(والضياء الأضوى، والحبل الأقوى، والطود الأعلى، الذي يعلو فلا يُعلى، ولا يؤتى لسورة مِن سوره أبداً بمثل ولا نظير، ولا يوجد فيه اختلاف في خبر ولا حكم ولا تقدير، فصْل كل خطاب، وأصل كل صواب. فجعلنا الله وإياكم من أهله، وعصمنا وإياكم بحبله، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد النبي وأهله وسلم تسليماً). هذا كعبارة عن مقدمة للتفسير.

(وبعد: فإنا لَمَّا رأينا ـ فيه من جوامع الهدى واليقين، وكان الهدى واليقين به مقدَّمة مُعتَصَم كل دين ـ علمنا متيقنين، وأيقنّا مستيقنين، أن لن نصيب رشداً، ولن ننال مطلوبَ هدىً، إلا به وعن تفسيره، وبما نوّر الله القلوب به من تنويره) تفسيره وبما نور الله القلوب به من نوره. أي: لا تفهم أن القضية مفصولة عن الله على الإطلاق، ممكن أن أقرأ لغة عربية تعينني على فهمه، باعتباره بلسان عربي مبين، أليست هذه واحدة؟ يمكن أن أتدبره، وأتأمله، أستعين على فهمه؛ لأهتدي به، ومما يؤهلني به فيه هو أنه يهديني إلى الله لأفهم أنني بحاجة إلى الله في الاهتداء به، وفي الالتزام به، وفي السير على نهجه.

(فنظرنا عند ذلك فيه، واستعنا بالله عليه، فوجدناه بَمنٍّ الله لكل عِلمٍ من الهدى ينبوعاً) ينبوع، هو يشبه ينبوع الماء، ينبوع العين، هذا هو ينبوع العلم (ورأينا به كل خير في الهدى مجموعاً، فلا خير في الحياة الدنيا كخيره، ولا يُهتدى لأحكام الله بغيره، من طلب الهدى في غيره لم يجده أبداً، ومن طلبه به وجد فيه أفضل الهدى، فقصدنا قصده، والتمسنا رشده، فأيُّ رشد فيه وجدنا؟!) رشد عظيم جداً (وإلى أيِّ قصدٍ منه قصدنا؟!) أي: ما كان أعظم ما قصدنا إليه فيه (تالله ما غابت عنه من الهدى غائبة) أليست هذه واحدة؟ إنه يجب أن تفهم الهدى، معناه بسعة الحياة، بسعة الكون كله، لا نؤطر الهدى نفسه والاهتداء والهدى نؤطره في أشياء لمعرفة هذه الأحكام التي نسميها أحكام عبادات ومعاملات، يعتقد ماذا يعني هدى؟ لماذا؟ كل شؤون الحياة، كل مجالات الحياة، كل أمور البشر في الحياة.

(تالله ما غابت عنه من الهدى غائبة، ولا خابت لطالب فيه خائبة، لقد كشف ستور الأغطية، وأظهر مكنون سرّ الأخفية) مثلما قال: (ولا خابت لطالب فيه خائبة) أي: لا ترجع خائباً عندما تطلب الهدى منه لا ترجع خائباً. طيِّب، عندما أرجع أنا ولم أفهم فلا أستغرب! ربما لم أفهم كيف الطريقة، ربما يوجد طريقة أخرى لأهتدي بالقرآن (وأظهر مكنون سرّ الأخفية).

(على ما بُلي به قديماً من تلبيس ملوك الجبابرة، وأتباعها من علماء العوام المتحيِّرة).

إذاً نفهم قضية أن الدِّين بكله، القرآن الكريم، لا يمكن على الإطلاق أن أحداً يزيف، هو غير قابل للتزييف إنما تُقدَّم أشياء لتكون بدائل، وتُقدَّم أنها هي الدِّين وهي هي المعبرة عن القرآن، وهي تقول ما تقول لتحسب ما تقوله أنه ما يريده القرآن، تعمل حديثاً وتقول هذا قاله النبي، وهكذا ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾(البقرة:٧٩) ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾(النساء:٤٦). لا تتصور أن الإسلام نفسه هو قابل للتزييف، هذا غير صحيح، إنما يأتون بأشياء يسمونها إسلاماً، يأتون بأشياء يحسبونها على الإسلام وليست منه، وهو يكذبها.

الجبابرة كانت هذه طرقهم، هل استطاعوا أن يغيروا آية من آياته؟ أبداً، لكن اتجهوا لطرق يجعلون ما يقدمونه هو ماذا؟ هو ما يريده القرآن، يفهِّمون الناس بأن هذا هو ما يريده القرآن، طاعتهم هي طاعة الله، كما

أمر القرآن، أليس هكذا؟ وبالطريقة هذه.

(على ما بلي به قديماً من تلبيس ملوك الجبابرة وأتباعها من علماء العوام المتحيرة) هؤلاء هم منابع الشر، وسلاطين الجور، وعلماء السوء (في توجيهها له) إنما تكون بالطريقة هذه فقط (في توجيهها له على أهوائها وتصريفه) وهو في نفس الوقت يكذبهم، لكن يكونون بالشكل الذي لا يتيحون لطرف آخر أن يكشف باطلهم وزيفهم، ألم يكونوا يستخدمون هاتين الطريقتين: تحريف لبسطاء الناس، ويكممون أفواه آخرين أو يقمعونهم؟ أليسوا يعملون هكذا؟

يزيفون الأعلام أيضاً، مسألة علماء وأعلام يطلّع لك عالِماً يسميه قاضي القضاة، وشيخ الإسلام، وعناوين من هذه، ويكبره أمام العامة، حتى يكون هو لسان الدّين، وحبر الدّين، وعلَم الدّين، وهي فقط مصالح متبادلة ما بين هذا الشخص، وما بين السلطة.

(وتأويلها له بخطئها على تحريفه) تحريفه لتأويلها (حتى عُطِّل فيهم قضاؤه، وبُدِّلت لديهم أسماؤه، فسمّيت الإساءة فيه إحساناً، والكفر بالله إيماناً، والهدى فيه عندهم ضلالاً، وعلماء أهله به جهّالاً) أي: علماء أهله قدموهم هم جهّالاً به. (ونور حِكَمه ظَلَماً، وبصر ضيائه عمًى) التعكيس هذا عكسوا الأشياء كلها (بل حتى كادت أن تُجعل قَاؤُهُ أَلِفاً، وألفه للجهل بالله فاءً، تلبيساً على الطالب المرتاد، وضلالة من العامة عن الرشاد، فنعوذ بالله من عماية العمين، والحمد لله رب العالمين).

(فلولا ما أبدى الله سبحانه من كتابه وحججه، وأذكى سبحانه من تنوير سرجه، لأبَادَ حُجَجَهُ ـ بتظاهرهم ـ المبطلون، ولأطفأ سرجَه الظلَمة الذين لا يعقلون،)

مثلاً في موضوع السلطان الجائر له علاقة به، تلمس فيه يده، في كتب (الجرح والتعديل) تلمس فيها يده، في كتب (الحديث) كون هذا الكتاب هو أصح، كون هذا هو كذا، تلمس فيها يده، تفسير مُعيَّن تلمس فيه يده، أشخاص معينون أشاد بهم تلمس فيها يده، وهكذا تلمسهم في كل زاوية من الزوايا.

لا تعتقد أنهم فقط يرغمون الناس بشيء وإلاّ سجنوهم. المسألة لا تقتصر على هذا! تراهم في كل مجال، هو يصنع الملهى، ويتحكم في المسجد أيضاً، ترى مدير الملهى قد يكون شخصاً من مخابراته، وخطيّب الجامع شخص من مخابراته، أليس يكون هكذا؟ يجعل الملهى بالشكل الذي يخدمه، ويجعل المسجد بالشكل الذي يخدم أغراضه؛ لهذا كانت القضية مهمة جداً، قضية: أنها سُنة إلهية لا تتغير، وأنه هكذا كتبه وأعلام لكتبه؛ لأن الأعلام لكتبه هي تمثل ضمانة لكل ما هو مطروح في الساحة.

فإذا لم يكن هناك علَم هو الذي يتحكم في المسجد، هو الذي يوجه كيف يكون المسجد، فسيكون المسجد منبر ضلال وإضلال، منبراً يُدجِّن الأمة للظالم، بل يُدجِّن الأمة لليهود، حقيقة، منبر المسجد نفسه، يجعل الحج نفسه باطلاً، يجعل كل شيء مما هي أساساً أشياء وضِعت ليهتدي بها الناس، وإيجابياتها في جانب الهدى، في جانب الحق، تتحول هي كلها إلى ماذا؟ إلى وسائل إضلال، إلى وسائل لترسيخ الظلم والطغيان.

فهي قضية مهمة، أن قضية ولاية الأمر في الإسلام هي جعلت بشكل ضمانة للدّين نفسه، هي تكون كلها، معالمه في الحياة، المسجد، الحج، النص القرآني وهو يقدَّم للأمة، المرشد، الخطيّب، المدرِّس، الكاتب، كل هذه تحتاج إلى أن يكون هناك ضمانات، من يوجهها، من يضبط مسيرتها وإلاّ ستستخدَم لتكون طريقة إضلال. هل جاء مثلاً أهل الباطل ليدمروا المساجد؟ لا، بل بنوا مساجد وشيدوها، بنوا منارات ومنابر، وطبعوا المصاحف، وعينوا خطباء؛ لأنه ليس هناك إشكالية فيها، ممكن أن يستخدموها.

هكذا؛ ولهذا كانت عندما يقول لك الاثنا عشرية ـ هذا من أدل الدلائل على بطلان مذهب الاثنا عشرية ـ عندما يقول لك: (إمام غائب على طول ألف سنة) هذه قضية غير صحيحة. الأمة بحاجة إلى علَم هو قرين القرآن يشكّل ضمانات لِمَا هو مطروح في الساحة من الدّين، وإلاّ فسيستخدم كل شيء من الدّين لإضلال الأمة بما فيها القرآن نفسه.

هذه قضية ضرورية، لا بُد أن يكون هناك ضمانة قائمة، وإلاّ فسيقدَّم كل شيء باطلاً، مذهباً باطلاً، من يقول كذلك مثلاً: يأتي من يحكم الأمة ويُقبَل، ظالم طاغية يقصم ظهرك.

طيّب، إن القضية هي أخطر من هذا، هل تجد أن بإمكان شخص واحد أن يحكم وهمُّه فقط سلطة: "يديول

ويجي له فلوس محله"»؟[1] لا تحصل هذه. تجده في الأخير يتدخل هو في المسجد، يتدخل في التربية، يتدخل في التعليم، يتدخل في الإعلام، يتدخل في الصحافة، يتدخل حتى في التاريخ، في القرآن، يتدخل في كل شيء، يطبع كل شيء بنفسيته، بطابعه، يؤقلم كل شيء يكون بالشكل الذي يجعل الأمة تقبله وتتلاءم معه.

عندما تقول لي: ظالم، منحط، افهم بأن معنى هذا أنه سيحط الأمة، ويحط الدِّين، لا تقل: (يا أخي ليست مشكلة، هو هناك، وهي دنيا، هو هناك في القصر) ليست مسألة قصر فقط، هل سيقتصر على القصر؟ فليأخذ القصر ويجلس فيه! هل يمكن هذا، ويترك الدِّين؟ هل يمكن؟ لا، هو يعمل وزارة تربية وتعليم، يعمل وزارة أوقاف وإرشاد، ووزارة ثقافة، أليس يعمل هكذا؟ وزارة شؤون قانونية، ووزارة كذا، أليسوا يعملون هكذا في الدنيا هذه كلها؟

يتدخلون في كل صغيرة وكبيرة من تثقيف الناس، إنما فقط ليس عندهم النظرة التي عند أولياء الله، وهذا هو الفارق الكبير جداً، هو هو لا يرى شيئاً أعلى منه! هذه الإشكالية هنا، فيؤقلم الحياة، ويؤقلم الناس ليتلاءموا معه هو، بينما الطرف الآخر[2] لا يوجد لديه النظرة هذه؛ لأنه فقط هو يجعل الحياة بما يتلاءم مع المسيرة إلى الله، الاهتداء إلى الله، لا يربط عنده.[3] هذا هو الفارق الكبير، الفارق الكبير هو هذا.

أولياء الله لا تكون النظرة هذه عنده: أن يؤقلم الأمة لتكون على ما يتلاءم معه هو، هو وسياسته وواقعه حتى يصبح هو أفضل السيئين، يحوِّل المجتمع سيئاً ليكون هو أفضل السيئين فينتهي بالأمة إلى عنده.

أولياء الله لا يمكن على الإطلاق أن يعمل هذه؛ لأن الفكرة أساساً لم تُقدَّم بالشكل الذي يُفكر في كيف يجعلهم يتلاءمون معه، أليس مستغرقاً في موضوع: مسيرة إلى الله؟ كيف يجعل دين الله هو قائماً، وهدى الله هو السائد، يهدي إلى الله، يلتزم الناس ليكونوا مطيعين لله، يبني الحياة ويعمرها على أساس منهج الله، وهكذا، الله لا يغيب عن أيِّ مجال من مجالاته مثلما قال ذو القرنين بعدما أكمل السد: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾(الكهف:٩٨) بينما الآخرون يقولون: (هذه من إنجازات فلان) أليسوا يقولون هكذا؟ من إنجازاته هو.

هنا يقول عنهم: (حتى كادت أن تُجعَل فاؤه ألفاً وألفه فاءً) تقليب للأمور بشكل رهيب، وما زالت الأشياء قائمة، مازالت الكعبة والحج قائمة، أليس كذلك؟ والمساجد قائمة وأكثر، والمدارس والجامعات، والمرشدون، والقرآن موجود، والحديث موجود، وكل شيء موجود، لكن قد أصبح كل شيء يعمل بهذه الطريقة: يجعل الألف فاءً، والفاء ألفاً!

ثم إن المسألة تراها في الأخير كيف تنعكس على واقع حياة الناس هم، يرون ظلماً، وضلالاً، وقهراً، وذلة، وتخلفاً، وانحطاطاً، آلاماً، أي: كلها لا تكون مجرد كلام، لا يكون سواءً ما يُقدَّم من فوق منبر المسجد: ضلال أو هدى، أليس كله كلاماً؟ لا بل هو يخرج من المسجد إلى واقع الحياة، فتصبح الحياة هكذا، الله يشتغل من عنده، ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(الأعراف:٩٦) والظالم يشتغل من عنده، العدو يشتغل من عنده، وكلٌّ يشتغل من عنده فترى الأمور تمشي بالمقلوب، ويصيح الناس، والخطباء يملؤون الدنيا في المساجد، الناس يصيحون ويتألمون، ويشعرون بالذلة والقهر، والمصاحف تملأ المساجد والبيوت، والجامعات والمراكز والمدارس تملأ الدنيا، والحجاج بالملايين!

ما هو الذي ضاع؟! لا يدرون ما هو الذي ضاع! أليس كله كلاماً واحداً؟ أليسوا كلهم يدورون حول الكعبة؟ كلهم يدورون، لكن من الذي يشرف على الدورة هذه؟ تجد ملايين تدور لا تُربَّى على أن تكون بشكل يرهب العدو. بينما أشخاص معدودون دخل بهم رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) جعلهم يَضْطَبِعُون: يَعرِضون عضلاتهم أمام الأعداء[4] ويتقافزون في السعي في ثلاثة أشواط؛ لأن هناك شخصاً يدير المسألة يجعلها بالشكل الإيجابي، يجعلها بالشكل الذي يرهب العدو.

يأتي العدو بأشخاص يديرون المسألة، يقولون: (لا، هذا حج، والحج ليس له علاقة بالسياسة، الحج ليس له

---

(١) (يدِّيوَل): من اللهجة العامية: يتَدَيْوَل، أي: يتولى الحُكم والسلطة. (يجي له فلوس): يحصل على أموال. (محله): يتوقف دون أن يتدخل.

(٢) الطرف الآخر: أولياء الله.

(٣) لا يَرْبِط عنده: لا يجعل الأشياء تتوقف عنده وترتبط به.

(٤) الاضْطِبَاع: أن يضع المُحْرِم رداءَه تحت يده اليمنى، ويرفع طَرَفَي الرداء على كتفه الأيسر، ويُبرِز كتفه الأيمن.

علاقة بكذا! هذه عبادة لله) دُر، اغزل فقط، اغزل حول الكعبة فقط، ملايين تعود وهي لا أثر لها في الحياة، ويغرقونهم من أول ما يدخلون الحدود، من أول ما يدخل الحدود يغرقونه بكتبهم، ضلال، ولا أحد يتكلم إلاّ هم، لا أحد يؤم الناس إلاّ هم، لا أحد يتحدث إلاّ هم، لا أحد يوزع كتباً إلاّ هم، إلاّ أن تأتي خِلسة هكذا.

فيصبح ملايين الحجاج ليس لهم أثر في الحياة كما كان لأولئك مئات معدودة، ولم يكن تحتهم بلاط، بل كان تحتهم غبار، يطوف وما زال يمتلئ بالغبار، لكن هؤلاء استطاعوا أن يؤثروا في الدنيا. ونحن ملايين كغثاء السيل، من أين المشكلة والقرآن موجود، وكل شيء موجود، والحرم اليوم أكبر من الحرم بالأمس وأجمل؟! أليس أجمل؟ كهرباء ومنارات، ومكبرات صوت رهيبة، وبلاط مبرَّد، ومساجد مفروشة ومزخرفة، ومنارات من ثلاثين متراً وأكثر.

كل شيء في هذه الشكليات قائمة باقية لكن هناك خلل كبير في أين الضمانة التي تُفعِّل هذه لتكون هدى وبناء للأمة؟ هذا الذي افتُقِد، لن يكون إلاّ ماذا؟ عَلَم والقرآن، الأعلام الذين هم قرناء مع القرآن.

(فلولا ما أبدى الله سبحانه من كتابه وحججه، وأذكى سبحانه من تنوير سرجه، لأبَادَ حُجَجَهُ ـ بتظاهرهم ـ المبطلون، ولأطفأ سرجَه الظلمة الذين لا يعقلون) وأيضاً لا يعقلون أين تنتهي المسيرة بالأمة أنه في الأخير يسير هو. لاحِظ الآن كيف المسيرة الآن، طرحنا في مكان آخر مثالاً لهذا، قد صاروا يرون أنفسهم أنهم سائرون هم والأمة إلى البحر إلى الهاوية مثل فرعون والمصريين تماماً، ألم يتقدَّم قومه إلى البحر؟ أرسل في المدائن حاشرين وجمع عشرات الآلاف وتقدَّمهم إلى ماذا؟ إلى البحر.

الآن هم يتقدموننا إلى البحر ويأتي بديل عنهم وعنا ماذا؟ يهود! وهو يريد أن "يقافط"[1] المسألة عليه يقافط الأمة عليه، وفي السعودية يريد أن يقافط السعودية على مزاجه، وعلى تقبله هو هو، وفي اليمن نفس الشيء، وفي مصر نفس الشيء، وكل بلد عربي نفس الشيء؛ لأنه ليس هناك فكرة بأن يجعلوا الأمة بالشكل الذي يتلاءم مع دين الله، يبنوا الأمة بالشكل الذي تكون قوية في مواجهة أعداء الله، لا يوجد هذا.

لذلك تراهم في الأخير لكونهم لا يعقلون، لم يعد باستطاعته أن يشكِّل ضمانة لوجوده هو، جارفين جاؤوا يجرفونه، إنما فقط هم بادئون من طرف، أليس (الشيول)[2] بدأ من فلسطين؟ جارفين جرفاً، ومن أفغانستان، يجرفون الأمة هذه بهؤلاء الذين على أكتافها، وعلى رأسها الحكام أنفسهم كلهم إلى البحر يجرفونهم.

لهذا تكون النظرة ضيقة أن تظن بأن المسألة شخص محل شخص، ليس ضرورياً الشخص الفلاني، أو أن يكون من آل فلان، ممكن أن يكون فلان، أليست هذه تحصل أحياناً؟ حتى عند من يقول لك ليس ضرورياً (علي) ممكن أبو بكر، أبو بكر لا بأس، ومشّى المسألة! القضية لا تنتهي عند أشخاص، علي، بل يمكن أن يكون واحداً اسمه أبو بكر، ليس هناك مشكلة! أبو بكر هو سيصلي بالناس، ويُجيِّش جيوشاً، ويُعيِّن ولاة، ويحدد أناساً يسيرون، لا، المسألة هي في الأخير تنعكس على الدِّين بكله، وتنعكس على الأمة بكلها؛ لأنه يجعل كل شيء يكون بالشكل الذي يتلاءم معه هو.

بينما علي بن أبي طالب لا يكون عنده هذا التفكير أساساً: أن يكون غارقاً في نفسه، فيجعل الأمة بالشكل الذي تتلاءم معه هو، بل يجعل الأمة بالشكل الذي تتلاءم مع المسيرة التي يسير عليها هو ومِن قبله رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فيسيرون جميعاً في طريق الله.

تلاحِظ في حركة الإمام علي لو كان عنده التفكير هذا لكان يستطيع هو أيضاً، وهو قال هو: إنه لو شاء لاهتدى إلى مُصفّى هذا العسل، ولُبَاب هذا القمح، وأشياء من هذه، ألم يكن يستطيع؟ ليس المعنى أن معاوية كان شخصاً داهية وذكياً. والإمام علي يستطيع أن يؤقلم الأمة معه، ويكون سلطانه بالشكل الذي يضيع معاوية، ولكن لا، القضية أنه هو يريد للناس أن يسيروا في هدي الله، ويتعامل معهم بالرؤية القرآنية نفسها، لا أن يتعامل معهم بالقهر والإذلال. بل يجلس يحركهم، يجلس يرغبهم، يجلس يحذرهم، يجلس يَعِظهم، يذكّرهم، لينطلقوا هم، هم، وإلاّ كان باستطاعته أن يعمل له جهاز مخابرات، يعمل له شرطة قمع، يعمل له (بوليس) قمع، وانتهى الموضوع، أليس يستطيع أن يُخضع العراقيين مثلما أخضعهم (صدام) و(الحجاج)؟ يستطيع، لكن لا، لماذا؟ لأن

---

(١) يقافِط: من اللهجة العامية، وتعني: يقوم بتفصيل الأمور على مزاجه.

(٢) الشَّيْوَل: الجَرَّافة.

هذه ليست طريقة صحيحة: أن يُخضع الأمة، هو يريد أن يوعّي الأمة، وتفهم الأمة، وإلاّ فستذوق عاقبة إهمالها وإعراضها، هو هكذا وإلاّ ستأتي العواقب وتعلّم الناس.

هي من أسهل الوسائل لأيِّ شخص يحكم: أن تؤقلم الناس عليك وتُخضعهم، تستطيع، أيُّ واحد يحكم لا يحتاج عبقرية ولا شيئاً، بل جهاز مخابرات، وجهاز قمع فقط، تخضعهم، وخطباء في المساجد، ومدرسين في المدارس، وفي الجامعات، ولو لم تكن تجيد أن تتكلم! وهكذا، أليس الكثير من حكام العرب هكذا؟ (صدام) ألم يكن منطقه حتى بشعاً! حتى منطقه، أخضع العراق إلى درجة أنهم قد صاروا يُقسِمون بحياته (وحياة السيد الرئيس).

ألم يكن الإمام علي يستطيع لو أراد أن يعمل بالطريقة هذه؟ ما أسهلها لمن لا يخاف الله، لمن لا يعرف دين الله! لمن ينطلق في ماذا؟ في أن يؤقلم الناس مع شخصيته، ويطبع المجتمع ليكون بالشكل الذي يتقبله، ما أسهل الطريقة هذه، (صدام) نفسه كان حتى كلامه ومنطقه بالشكل الذي يشوهه.

(ولأطفأ سرجَه الظلَمة الذين لا يعقلون، ولكن الله سبحانه أبى له أن يطفى، وجعله سراجاً لأوليائه أبداً لا يخفى، ولذلك ما يقول سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(التوبة:٣٢). ولعلنا ولا قوة إلا بالله العلي الكبير، وبالله نستعين على ما هممنا به لكتابه من التفسير، أن نضع مما علّمنا الله فيه طرفاً، وأن نَصِفَ فيه من وصف الحق وصفاً، نُبين عنه بما يُحضِرنا فيه الله من التبيين، ونعتمد فيه على ما نزّله الله به من هذا اللسان العربي المبين).

اللغة العربية مهمة، واللغة العربية هي التي لا نقرؤها لا نحن ولا الذين في المساجد، النحو، والصرف، والمعاني، والبيان هي معرفة القواعد فقط، لا بُد أن تعرف اللغة نفسها، تُقدِّم اللغة نفسها، ولكن عندما تقرأ القواعد هذه ففائدتها في جوانب محدودة، لكن معرفة الأساليب بطريقة طبيعية، أساليب اللغة، نَفَس اللغة، طرق العرب في التخاطب فيما بينهم، لا بُد من أن تعرف النص العربي على أساس أن تتعامل معه، عن طريق الشعر، وعن طريق نصوص عربية.

(فإن الله جعله مفتاح علمه) هذا بالنسبة للسان العربي ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾(الشعراء:١٩٥) (فإن الله جعله مفتاح علمه، ودليل من التمسه على حكمه، فلا يُفتح أبداً إلا بمفاتيحه، ولا تُكشف ظلَمه إن عرضت في فهمه إلا بمصابيحه، فعنه فاستمعوا، وبه وفيه فانتفعوا، واعلموا أنّا لن نضع من ذلك إلا قليلاً وإن أكثرنا) الإمام القاسم عنده الرؤية هذه: بأن أيَّ شخص لا يستطيع أن يُفسِّر القرآن بالكامل، ويُقدِّم كل ما يحتويه القرآن في أيِّ زمن كان، لا يستطيع أحد.

يستطيع فيما يتعلق بزمانه، وفي حركته، أمّا أن يجلس في بيته ويُفسِّر فقد يأتي بأشياء مما هي في الواقع تفسير لغوي، يأتي بأشياء هي مما قد تكون ظاهرة أو شبه ظاهرة، أو قريبة، افترض أن المفسر يؤلف أربعة مجلدات، خمسة مجلدات، ثلاثين مجلداً، لكن لا يزال الكثير الكثير بالشكل الذي وإن بذل جهده فلن يتناوله؛ لأن القرآن هكذا مربوط بالحياة، وبالحركة، والأحداث لها دخل كبير في الاستفادة منه، والجهاد في سبيل الله، نصر دين الله، الاستجابة لله هي تكون بهذا الشكل: لها دخل كبير، في ماذا؟ في الاستفادة منه وفي تبيينه.

ولهذا نقول بالنسبة لحركة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) حركته هي من التبيين، حركته هي تطبيق. لا تتصور أن باستطاعة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هو أن يجلس في مسجده ويُبيِّن القرآن كلمة كلمة، ويُبيِّن معانيه، بل هو نفسه تنزل عليه مرتباً، أو منجماً ـ كما يقولون ـ على مدى ثلاث وعشرين سنة، مرتبط بالحركة، وبالحياة.

(وأنّا وإن بلغنا من تفسيره كل مبلغ فلن نمسك عنه إلاّ وقد قصّرنا، وإن لكل تفسير منه تفسيراً، وإن قلّ تفسيره كثيراً) للتفسير منه وإن قل تفسير كثير (ولكل باب منه أبواب، وكل سبب فقد تَصِلُهُ الأسباب) يفتح، ليس هناك حاجة وقفت هنا، كل شيء هو مرتبط بأسباب، كل شيء له هو متصل بأشياء، وهكذا.

(وكل سبب فقد تَصِلُهُ الأسباب، إلاّ أنا سنقول في ذلك بما يُحضِرُنا الله فهمه، وما نسأل الله أن يهبنا في كتابه علمه) أي: أن هذه رؤية أهل البيت القدامى في موضوع التعامل مع القرآن، نُسِفت الرؤية هذه، يقول لك: (لا، كل شخص يستطيع أن يفهمه هو كله؛ لأنه مخاطب به، مكلف! كيف أن الله ممكن أن يكلفك، يخاطبك بما أنت مكلف به ثم لا تفهمه! إلاّ إنك تستطيع أن تفهمه) قاموا كل واحد قال: (سنفهمه) جاء يربض عليه وعنده أنه

سيفهمه! طلعنا صفراً! حقيقة، وفهمناه بالمقلوب، وامتلأت نفوسنا ضلالاً.

(ونبدأ من تفسير كتاب الله بما نرجو أن يكون الله به بدأ، من تفسير السورة التي أمر نبيَّهُ أن يسأله فيها الهدى، وسماها عوامّ هذه الأمة فاتحة الكتاب والفرقان) أي: المعروفة عندهم بهذا الاسم (وقال بعضهم: اسمها أمُّ القرآن، وذلك مما يدل من يستدل، على أنها أول ما نزل، لا كما يقول بعض جهلة العوامّ بغير ما دليل ولا برهان، أن أول ما نزل من القرآن: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾(العلق:١،٢)) فأول ما نزل هي الفاتحة: (الحمد لله رب العالمين) (ألا ترى كيف يقول: اقرأ ما يُقْرِيك، باسم ربك الذي نزّل عليك، فأخبر جلّ ثناؤه أن قد نزّل عليه قبلها) عندما يقول: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إذاً ما هو اسم ربك؟ قد نزّل شيئاً قبل من كتابه، وأن تقرأ شيئاً قد نزل، ما هو الاسم الذي أقرؤه؟ وما هو الذي أقرؤه؟ ثم إن أكثر ما تعني قراءة الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) للقرآن، أن أقرأ: أن أتلو، اقرأ على الناس، أن تتلو على الناس.

(فأخبر جلّ ثناؤه أن قد نزّل عليه قبلها، الاسم الذي أمره أن يقرأ به فيها ولها، وأن يقدمه في القراءة عليها، ثم يصير بعد القراءة به إليها) عندما يقول: ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ إذاً أقل ما في الموضوع أنه قد نزّل شيئاً يقرؤه ويبدأ قراءته به، وهو يريد هنا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم إنه عندما يقول: اقرأ، لا بُد أن يكون قد نزل شيئاً ليقرأه، فسورة اقرأ هي تدل على أنه قد سبق شيء نزل يقرؤه.

(ألا ترى أنه لو كان ما قد قرأ، هو ما أمرَ عليه السلام أن يقرأ، لكان إنما أمر بفعل تامّ مفعول، وقول قد تقدم مقول. وإنما اسم ربه الذي أُمِرَ أن يقرأ به بسم الله الرحمن الرحيم) عندما يقول اقرأ، فهو قد أُمِر أن يفعل فعلاً تاماً، أي: قد وقع، أليس كذلك؟ يبدو كأنه يريد هكذا بالعبارة. (ألا ترى أنه لو كان ما قد قرأ هو ما أمر عليه السلام أن يقرأ) أو أن يكون في قوله: اقرأ، هو ماذا؟ أن يكون في أمره له بأن يقول: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ هو قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ لكان أمراً بأن يقرأ الشيء نفسه، أن يقرأ ماذا؟ يقرأ ﴿اقْرَأْ﴾!

(وإنما اسم ربه الذي أُمِرَ أن يقرأ به بسم الله الرحمن الرحيم، الذي قدّم به في صدر كل سورة عند أول كل تعليم) هذه الآية: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هي آية مهمة فعلاً.

(والحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد النبي وعلى آله، تم المديح الصغير، بمنِّ الله اللطيف الخبير).

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي بتاريخ: ١٨من ذي الحجة ١٤٣٧هـ الموافق: ١٩ / ٩ / ٢٠١٦م

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من هدي القرآن الكريم

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

قاطعوا
البضائع الأمريكية
و
الإسرائيلية

دروس من سورة آل عمران	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢م
دروس من سورة المائدة	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦م
دروس معرفة الله				
الثقة بالله ـ الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨م	نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩م	نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠م	نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١م	نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢م
عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣م	عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥م	عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦م	وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨م	وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩م
وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠م	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤م	وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥م	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦م	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨م
دروس متفرقة				
الصرخة في وجه المستكبرين ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م	﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ ٢٠٠٢/١/٢٤م	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢م
خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣م	لتحذن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧م	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨م	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩م	﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى﴾ ٢٠٠٢/٢/١٠م
﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ ٢٠٠٢/٢/١١م	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٣/٨م	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٣/٩م	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٣/١٦م	دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٣/٢٣م
﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ﴾ ٢٠٠٢/٧/٢٦م	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤م	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩م	﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ٢٠٠٢/٩/٢م	الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢م
لا عذر للجميع أمام الله ٢٠٠٢/١٢/٢١م	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١م	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ
آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام ١٩ رمضان١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾ ١٤٢٣هـ
الموالاة والمعاداة ١٤٢٣هـ	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾	الوحدة الإيمانية	﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾	﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾
من نحن ومن هم	دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٢٠٠٣/٥/٢٨ إلى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٣م			
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة: الآيات (٢١ـ ٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠ ـ ٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧ـ١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤ـ١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١١٥ـ١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة البقرة: الآيات (١٤٦ـ١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١٨٧ـ٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢١٥ـ٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢٥٣ـ٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	الآيات(٢٧٥من البقرة ـ٣٢ من آل عمران) ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة آل عمران: الآيات (٣٣ـ٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢ـ١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١ـ آخر السورة) ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١ ـ ٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣ـ١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (١٣٥ ـ آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١ ـ ٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧ ـ ٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥ ـ آخر السورة) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١ ـ ٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (٣٩ ـ ١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣ ـ آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١ ـ ١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨ـ١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٣ ـ آخر السورة) ٢٩ رمضان١٤٢٤هـ

الله أكبر

الموت لأمريكا

الموت لإسرائيل

اللعنة على اليهود

النصر للإسلام

قاطعوا البضائع الأمريكية و الإسرائيلية

الله أكبر الموت لأمريكا الموت لإسرائيل اللعنة على اليهود النصر للإسلام

الاسم :	الله أكبر	الصف: .....
المدرسة:		السنة الدراسية: .....

الموت لأمريكا	الأيـــام	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	الخامسة	السادسة	السابعة	الثامنة	الموت لإسرائيل
	السبت									
	الأحد									
	الإثنين									
	الثلاثاء									
	الأربعاء									
	الخميس									

اللعنة على اليهود	النصر للإسلام